عـــود الـنـــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهواري

العدد السابع :: شتاء ٢٠١٨

ملف: شؤون فلسطينية ٢٠١٧

التقمص في أدب جبران

الإعاقة: تعليم الأطفال

خطوات نحو التميز: ملخصات

قصص قصيرة

مواد متنوعة

النساء والقاصرون ضحايا استغلال الشهرة والثروة والسطة

المحتويات

د. عـدلي الهواري - كلمة العدد.. 4
استغلال الشهرة والثروة والسلطة

د. فاطمة حقوق.. 7
التقمص في أدب جبران

عبد الرحمان بردادي 14
ملخص كتاب «في نظرية النقد» لعبد الملك مرتاض

محمد صديق بوهند 20
ملخص كتاب البحث اللغوي عند العرب

فيصل موساوي. 26
ملخص كتاب «عيار الشعر» لابن طباطبا

دلال بحيص. 29
الإعاقة: عالم من الأسرار

طـه بونيني.. 32
الطابع البريدي: سفير الثقافة والفن

زهرة يبرم 34
زغــدة

محمد أفضل عبد السلام الوافي 38
عاشقة الصمت

زهرة زيراوي وداعا 42
تذكير بتكريم زهرة زيراوي في المغرب

لطيفة السليماني الغراس 44
قراءة موجزة في رواية «الفردوس البعيد» لزهرة زيراوي

د. سلمى زكي الناشف.. 46
مقتطف: رحلاتي حول العالم

نازك ضمرة 49
مقتطف من مخطوطة رواية عفان بن نومان
مختارات: غالب هلسا 52
مقتطف: حوار مع إميل حبيبي ورؤية لأعماله
«رؤى فكرية»: دعوة للكتابة 55
الاستشراق والأدب العربي المعاصر
د. حسنية عزاز 56
مشروع أقلام واعدة
للباحثات والباحثين: أرشيف رقمي 57
أرشيف المجلات الأدبية والثقافية العربية
جـابـر سـلـيـمـان 58
فلسطين: مئة عام على وعد بلفور
أوس يعقوب 65
التطبيع عن طريق الفن
جهان حلو 70
ماجد أبو شرار: 36 عاما على الغياب
للباحثات والباحثين 73
من الأرشيف: نشرة «المتراس»
د. عدلي الهواري 75
قضية فلسطين: كيف الخروج من الطريق المسدود؟

تُصدر مجلة «عود الند» العدد الفصلي الواحد بصيغتين: الأولى النصية التي يتم الاطلاع والتعليق عليها في موقع المجلة. الثانية بصيغة بي دي اف، وهي أقرب ما يمكن من النشر الورقي من حيث الشكل. صيغتا العدد الواحد ليستا نسختين متطابقتين في المحتوى لضرورات التصميم، وإبقاء حجم ملف العدد معقولا ليسهل حفظه على الحواسب وأجهزة القراءة الأخرى. كل المواد الجديدة تنشر بالصيغتين. أما المختارات والموضوعات المعززة بكثير من الصور فهي لا تنشر أو تنشر بصيغة معدّلة لتناسب التصميم بصيغة بي دي اف.

د. عـدلي الهواري - كلمة العدد

استغلال الشهرة والثروة والسلطة



انفجرت في الآونة الأخيرة قضية استغلال بعض المشاهير والأثرياء لشهرتهم وثروتهم للتحرش بالنساء أو القاصرين. وفي بعض الأحيان وصلت الاتهامات في هذا الشأن إلى ذكر الاغتصاب. وقد عادت هذه القضية إلى اهتمام وسائل الإعلام بها اهتماما كثيفا بعد تقرير نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» في 2017/10/5 عن المنتج السينمائي الأميركي، هارفي واينستين، سردت فيه معلومات عن ممارسات واينستين مع ممثلات، مستغلا وضعه كمنتج سينمائي في هوليوود، عاصمة السينما الأميركية.

وخلافا لمرات سابقة، لم يتوقف الاهتمام الإعلامي بالقضية عند قضية شخص واحد كهذا المنتج، بل بدأت تتسع، وزاد عدد الممثلات والممثلين الذين تحدثوا عن استغلالهم أو الاعتداء عليهم في مرحلة سابقة من قبل ممثلين مشهورين. حتى القاصرات والقاصرين لم يسلموا من هذا الاستغلال، ففي السينما هناك أفلام فيها أدوار لصغار ومراهقين، وبعض هؤلاء كانوا بين من صدرت عنهم اتهامات بشأن الاعتداء عليهم. وذكر في هذا السياق ممثلان مشهوران هما كيفين سبيسي وتشارلي شين.

ويمكن اعتبار كشف النقاب عن هذه الأمور الصادمة حلقة أخرى من هذه القضية التي تعود إلى الأضواء من حين لأخر. ففي بريطانيا خرجت إلى العلن عام 2012 مسألة استغلال المقدم التلفزيوني، جيمي سافيل، للصغار اثناء عمله على برامج ذات طابع خيري شملت زيارة المستشفيات. وكان سافيل يعمل في هيئة الإذاعة البريطانية، بي بي سي، وهي هيئة عامة تحصل على دخلها بموجب قانون يفرض على كل مالك جهاز تلفزيوني دفع مبلغ سنوي.

وفي بريطانيا أيضا، فتحت تحقيقات في اتهامات لسياسيين معروفين بأنهم كانوا يعتدون جنسيا على قاصرين. وطالت الاتهامات رئيس الوزراء البريطاني السابق، ادوارد

هيث. وعادت قضية التحرش بالنساء إلى الأضواء في سياق مجلس العموم البريطاني، ونتج عن ذلك استقالة وزير الدفاع، مالكوم فالون، وتبني اجراءات تهدف إلى تمكين ضحايا التحرش في المجلس من الشكوى للتحقيق فيما يتعرضن له.

ما كشفته قضية واينستين هو أن السمعة السيئة للوسط الفني لم تأت من فراغ، فمنتج ثري مثل واينستين كان بوسعه أن ينقل ممثلة ما إلى عالم الشهرة إن هي لبت رغباته، أو تبقى مغمورة إن امتنعت. ولذا، المرأة الراغبة في دخول عالم الفن قد تجد نفسها معرضة لمراودتها عن نفسها، والقبول بتقديم تنازلات من أجل أن تسير على طريق الشهرة.

الملفت للنظر في هذه الأمور أن المسؤولين في شركات الانتاج والهيئات الإعلامية كانوا على علم بما يفعله هؤلاء المشاهير، ولكنهم تجاهلوا الأمر. وهناك سببان، في رأيي، لهذا التجاهل، أحدهما له علاقة بقوة الشخص المتهم، إما لأنه ثري كما في حالة واينستين، أو لأن له شهرة كبيرة تجعل التعامل معه يتم وفق معايير متساهلة بخلاف التعامل مع موظف عادي في المؤسسة.

السبب الآخر أن المسؤولين في المؤسسات والشركات يتبنون في كثير من الأحيان موقف الدفاع عن هؤلاء الأفراد بذريعة أن حمايتهم تعني أيضا الحفاظ على «هيبة» المؤسسة، ويعتبرون هذا أهم من حل المشكلة، ويختلقون الأعذار لعدم حلها. على سبيل المثال، عندما تشتكي النساء من التحرش الجنسي، يتكاتف المسؤولون في المؤسسة لنفي وجود تحرش، أو اتهام الضحايا بالحساسية المفرطة، أو عدم اتخاذ اجراءات ضد المتحرش/ين.

ولو اشتكى العاملون من وجود تمييز عنصري في مؤسسة، يتكاتف المسؤولون فيها من أجل نفي وجود تمييز، وبدل أن يبادروا إلى اتخاذ اجراءات تؤدي إلى تحقيق تكافؤ الفرص والمساواة تجدهم يفضلون صرف مبالغ طائلة من أموال ليست لهم لمقاومة قضايا التمييز التي قد ترفع على المؤسسة في المحاكم، بعد اخفاق محاولات وقف التمييز من خلال الإجراءات الداخلية في المؤسسة .

مثل هذا الموقف الجماعي الذي يتخذه المسؤولون في هيئة ما يسمى التمييز المؤسساتي، أو العنصرية المؤسساتية، وهذا يعني وجود سياسة وموقف عامين على كل المستويات اعتمدا عن وعي، أو نتيجة تشابه في العقلية لوجود شبه كبير في خلفيات المسؤولين الاجتماعية والتعليمية. من الأمثلة على العنصرية المؤسساتية حادثة قتل شاب أسود، ستيفن لورانس، على أيدي شباب بيض في بريطانيا عام 1993. تحقيق الشرطة في الجريمة لم يسفر عن إدانة أحد بالجريمة، فنشأت حالة من الغضب الشعبي أرغم الحكومة على تشكيل لجنة للتحقيق في الأسباب. وفسر الأمر بأنه ناتج عن العنصرية المؤسساتية في جهاز الشرطة الذي تولى التحقيق في الجريمة.

يحدث أحيانا أن تؤدي ضجة إلى مراجعة السياسات في المؤسسات أو سن قانون جديد، فيبدو أن المشكلة قد حلّت. ولكن يكتشف بعد سنوات أن التمييز استمر. خير مثال على هذا ظهر في الآونة الأخيرة عندما تبين أن رواتب مقدمات البرامج في بي بي سي أقل من رواتب زملائهن. ولولا اكتشاف الأمر بعد نشر معلومات عن رواتب الأشخاص التي تزيد عن مبلغ محدد، لاستمر هذا الوضع لأن العادة الشائعة في المؤسسات عدم الإفصاح عن راتب الفرد. وهذا في ظاهره يحمي معلومة خاصة بالموظف، ولكن في حقيقة الأمر يخفي التفاوت في الرواتب بين الأفراد دون أن يكون سبب الاختلاف قائما على أسس عادلة أو موضوعية.

استغلال المنصب والشهرة والسلطة تم في الولايات المتحدة على أعلى المستويات، عندما استغل الرئيس بل كلنتون المتدربة في البيت الأبيض، مونيكا لوينسكي. وكان كلنتون جريئا في الكذب إلى حد الظهور على شاشات التلفزيون ليقول غاضبا إنه لم يمارس الجنس مع هذه المرأة. كذبه كاد يؤدي إلى إزاحته من منصبه. و سمعته الملطخة لا تزال تلاحقه، وربما ساعدت على عدم تأثر وضع دونالد ترمب الانتخابي بعد نشر تسجيل يتحدث فيه ببذاءة عن النساء أثناء حملة الانتخابات الرئاسية التي خاضها مقابل هيلاري، زوجة كلنتون.

من المؤكد منطقيا أن استغلال الشهرة أو الثروة أو المنصب غير مقتصر على الولايات المتحدة وبريطانيا، بل يحدث في كل الدول، بما فيها الدول العربية، فالطبيعة البشرية واحدة في مختلف الأماكن. ولذا من الحكمة أن تقوم الحكومات بوضع البيئة القانونية التي تمنع هذا الاستغلال، مع أن القوانين وحدها لا توقف الاستغلال، وأن تقوم المؤسسات الحكومية والخاصة بمراجعة سياساتها وإجراءاتها الداخلية لضمان عدم وجود بيئة خصبة لاستغلال الشهرة أو المنصب أو الثروة.

وفي حال اشتكى موظفون من وضع سيء، القرار السليم هو تصحيح الوضع، وليس التخلص من الشاكين، وبالتالي تمكين الأوباش من مواصلة ممارسة أعمالهم الفظيعة.

= = =

رابط تقرير صحيفة «نيويورك تايمز» عن هارفي واينستين

https://www.nytimes.com/2017/10/05/us/harvey-weinstein-harassment-allegations.html

رابط لموضوع في صحيفة الـ«غارديان» البريطانية عن جيمي سافيل:

https://www.theguardian.com/media/2014/jun/26/jimmy-savile-sexual-abuse-timeline

رابط لنص الرسالة التي وجهتها مقدمات البرامج إلى مدير عام بي بي سي:

http://www.telegraph.co.uk/news/2017/07/22/female-bbc-stars-letter-demanding-equal-pay-tony-hall-full/

د. فاطمة حقوق

التقمص في أدب جبران



أثار فكر جبران خليل جبران الصوفي جدلا كبيرا في الأوساط الأدبية، فهناك من عدّه رجلا صوفيا وهناك من رأى أن لديه نزعات صوفية فقط تجلت في نقاط عديدة من بينها: التقمص الذي يقصد به انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر، فالنفس خالدة لا تموت والذي يموت هو الجسد، هذا المبدأ الصوفي هو ما سنفصل الحديث عنه في هذه المقالة .

كثيرة هي الدراسات التي حاولت أن تدرج جبران خليل جبران في عداد المتصوفين، بيد أن الحقيقة غير ذلك، فهو لم يكن متصوفا بالمعنى الحرفي كالحلاج والبسطامي وجلال الدين الرومي وابن الفارض وابن عربي وغيرهم، بل كان ينزع إلى بعض الميول الصوفية التي ذكرها غسان خالد وهي «الإيمان بسلامة المعرفة القلبية وعقم الاجتهاد العقلي، والاستكشاف الباطن بالصدوف عن المظاهر الخارجية العارضة والاهتمام ببواطن الأشياء وبباطن الذات، وهاجس الشوق والحنين المؤدي إلى اليقظة الروحية، والسعي إلى الكمال الشخصي بتجاوز الواقع الوضيع، ثم اعتماد الحب أو المحبة كصفة خلقية أساسية للتكامل»[1].

هذه الميول صادفناها في أغلب كتابات جبران فقد تحدث مرات عديدة عن المعرفة الحدسية كأداة لإدراك الحقائق، فيقول مثلا في قصة «إرم ذات العماد»:

«أفتظن أنك تستطيع إدراك الجواهر باستفسارك عن الأعراض. هي لا ولن تصغي إلى ما تقوله. لا ، ولا تنظر إلى ما تفعله بل سوف تسمع بأذن أذنها ما لا تقوله وترى بعين عينها ما لا تفعله»[2].

وفي مقال «القشور واللباب» تحدث عن الاستكشاف الباطن فبيّن أن الناس مشغولون بمعرفة سطحياتهم وغفلوا عن رؤية أسرار الروح وما خفي فيها، فليست الحياة

بظواهرها بل بجواهرها وعلينا ألا نهتم بما يظهره الإنسان بل بما يخبئه في نفسه[3].

وفي قصة «البنفسجة الطموح» أشار إلى أهمية الشوق إلى معرفة أسرار الوجود لأن الهدف من حياة الإنسان أن يسعى ليكتشف ما وراء الوجود[4]. إلى جانب ذلك نجده يورد الكثير من المصطلحات الرائجة بين الصوفيين كالجوع الروحي والكمال والشوق والذات المعنوية والنور الإلهي والحنين والسكينة والرؤيا.

انطلاقا مما سبق، جنح كثير من الدارسين إلى نعت تصوف جبران بنعوت مختلفة فمنهم من سماه تصوف تحرري يدعو إلى نبذ الحياة التقليدية وبناء عالم جديد مثالي، ومنهم من رأى أنه تصوف إيجابي تفاؤلي لا يقهر الجسد بل يدعو إلى الحفاظ عليه حتى يليق بالمعرفة الإلهية التي ستحل فيه، ولا ينكر المادة بل يجعلها سُلما يكشف خفايا الروح، ولم يحتقر الملذات الطبيعية بل كان بطل قصته «العاصفة» يوسف الفخري يشرب القهوة والخمر ويتمتع بلذائذ الدنيا، كما أنه لم يعتزل الناس للصلاة والتقشف وإنما للتأمل ومعرفة أسرار الكون. وهناك من سمّى مذهبه بالتصوف الانتخابي أو الانتقائي لأنه كان يختار من أفكار الصوفيين ما يتلاءم مع مبادئه الإنسانية[5].

ومن الأفكار التي ترددت في كتاباته بكثرة وأظهرت ميولاته الصوفية التقمص. لقد أثارت ظاهرة التقمص منذ القدم جدلا كبيرا بين الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين، لما اكتنفها من غموض وإبهام جعل اللغة غير قادرة على التعبير عنها، فتعددت تعاريفها وتنوعت تسمياتها من التناسخ إلى العودة إلى التجسد إلى التقمص (التسمية العربية الرائجة حاليا). فما هو التقمص؟ وما مفهومه عند جبران؟

التقمص مبدأ ديني قديم لم يُعرف تاريخ ظهوره بالضبط، لكن حُددت البيئة التي نشأ فيها وهي منطقة تسمى التبت تقع بين الصين واليابان، ومنها شاع وانتشر في العالم فعرفته شعوب كثيرة كالشعب الهندي والياباني والأمريكي والإسلامي (الدروز). كل شعب عرّفه بحسب معتقده، فيقصد البوذيون به انتقال الروح من جسد لآخر بعد موته لأن الحياة الدنيوية عندهم عذاب، والروح إذا لم تكن صالحة سترجع إلى الأرض وتحل في جسد آخر حتى تصير طاهرة وبالتالي تصل إلى مرحلة النيرفانا[6].

أما البراهمة فيرون أن التقمص هو تكرار للولادة والوفاة أو تجوال للروح التي لم تتمكن من الاندماج في الكل (الإله)، لأنها روح شريرة لا تنتقل إلى جسد إنسان آخر، بل يجوز كما يرى أحمد عبد الغفور عطار «أن تحل في كلب أو شجرة، وما يزال تكرار الوفاة فالولادة إلى أبد الآبدين، إذا لم تستطع أن تتجرد من الشهوات تجردا تاما يصعد بها إلى حيث يمكنها الاتحاد مع الكل، فإذا استطاعت التخلص من إسار الشر فإنها ستندمج في الكل لتنعم بالاتحاد معه، وبهذا الاتحاد تنجو من العذاب الذي يتجلى في الولادة الجديدة المتكررة»[7].

وعلى غرار ذلك يرى أرسطو أن النفس إذا لم تكن صالحة ستعود إلى الأرض بعد موتها لتحل في جسد حيوان لذلك قال مقولته الشهيرة: «اعرف نفسك».

ويؤمن الدروز، وهي جماعة إسلامية انشقت عن الإسماعيلية، بالتقمص، أي انتقال الروح من جسد بشري إلى آخر، فالنفس لديهم خالدة لا تموت والذي يموت هو قميصها (الجسد) الذي يصيبه البلى فتنتقل إلى قميص آخر. والملاحظ في مذهبهم أنه صاف من رواسب الوثنية، يركز على جوهر الإنسان وطموحه في نيل الكمال.

رفض جبران الفناء وآمن بخلود الروح وسعيها الحثيث لبلوغ المثالية، فاعتنق التقمص بالمفهوم الدرزي ورأى أن الحياة لا تنتهي بعمر واحد ولا بأعمار، لأن الإنسان ينشد الكمال ويبحث عن الله الذي لا يمكن أن يجده في عشرين سنة أو في مائة أو في ألف[8]، لذا كان يشعر دائما بأنه عاش حياة بشرية في الماضي، إذ يقول جبران لماري هاسكل أنه: «عاش مرتين في سوريا، لكنما لفترات قصيرة، ومرة في إيطاليا إلى سن الخامسة والعشرين، وفي اليونان حتى الثانية والعشرين، وفي مصر حتى الشيخوخة، وعدة مرات ست مرات أو سبعا ربما في بلاد الكلدان، وواحدة في كل من الهند وفارس»[9]. كما أنه سمح لنسيب عريضة أن يبوح بسره في النبذة التي كتبها عن حياته والتي جاء فيها: «ولد في بشري، لبنان، ويقال في بومباي، الهند»[10].

عبّر جبران عن إيمانه بعقيدة التقمص التي تقربه من إدراك الحقيقة الإلهية في معظم كتاباته، بدءا من قصته «رماد الأجيال والنار الخالدة» التي روى فيها قصة كاهن في هياكل بعلبك يدعى ناثان بن حيرام الذي أحب فتاة في خريف عام مائة وستة عشر قبل الميلاد، غير أنها ما لبثت أن ماتت لتتركه وحيدا حزينا تائها في الأودية، فيقول إن «الأجيال التي تمر وتسحق أعمال الإنسان لا تفني أحلامه، ولا تضعف عواطفه. فالأحلام والعواطف تبقى ببقاء الروح الكلي الخالد، وقد تتوارى حينا وتهجع آونة متشبهة بالشمس عند مجيء الليل وبالقمر عند مجيء الصباح»[11]، لذا في سنة 1890 يعود العاشقان إلى بعلبك وقد صارت أطلالا في زيّ راع يدعى علي الحسيني الذي يلتقي بفتاة جميلة تحمل جرتها على كتفيها لتملأها من الجدول ويقع في حبها، وهذه الفتاة لم تكن في الحقيقة سوى الحبيبة التي اختطفها الموت وغابت لقرون، وهذا الراعي لم يكن سوى حبيبها الكاهن الذي عاد إلى الحياة، فيقول جبران على لسان الفتاة: «قد أعادت عشتروت روحينا إلى هذه الحياة كي لا نحرم ملذات الحب، ومجد الشبيبة»[12]، فهذه القصة تدل بشكل قاطع على أن العودة إلى الحياة من خلال التقمص تمكن الإنسان من تحقيق ما لم يحققه في حياة واحدة.

وفي كتاب «الأرواح المتمردة» في قصة «مضجع العروس» تؤمن بطلة القصة بأن

مضجع الحب الحقيقي لن تجده في الأرض بل في السماء بعد موت جسدها وجسد حبيبها وتغييره بقميص آخر، فيقول جبران على لسانها: «قد بحثنا فلم نجد مضجعا يليق بعناقنا في هذا العالم الذي جعلتموه ضيقا بتقاليدكم ومظلما بجهالتكم وفاسدا بلهاثكم، ففضلن الذهاب إلى ما وراء الغيوم»[13].

وفي كتابه «السابق» في قصة «الخلافات» تقمصت روح «محراب» الجائر ملك البَترون جسد ابن ملك عشانة بقوله على لسان الكاهن: «اصغ أيها الملك فأنبئك الصدق عن مستقبل ابنك الذي ولد لك اليوم: فإن روح عدوك-عدوك اللدود الملك محراب- الذي مات في مساء الأمس لم تلبث على متن الأرياح سوى ليلة واحدة وقد هبطت إلى الأرض ثانية تطلب جسدا تأوي إليه، فلم تر أفضل من جسد ابنك هذا الذي ولد لك اليوم فتقمصته»[14].

يرى جبران أن حياة الإنسان لا تبدأ من الرحم وتنتهي في اللحد بل هي حياة أزلية خالدة إذ يقول: «فأنا كنت منذ الأزل، وها أنا ذا، وسأكون إلى آخر الدهر، وليس لكياني انقضاء»[15]، والسنوات التي يعيشها الإنسان ما هي إلا لحظات وحين تنفصل النفس عن الجسد لا تذهب إلى نعيم ولا إلى جحيم، بل تسبح في فضاء اللانهاية ثم تعود إلى جسد جديد لأن الحياة لا تنتهي بعمر واحد، وقد استدل جبران على ذلك بقوله تعالى: «وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون»[16]، فالحياة البشرية بحسب رأي جبران ليست إلا «تصفية حسابات. نموت فنترك خلفنا ديونا لنا وديونا علينا، من خير ومن شر، من حب ومن بغض، من صداقة ومن عداوة. فنعود لنستوفي ونوفي. وسنظل نستوفي ونوفي إلى أن لا يبقى لنا من رصيد حساب إلا الله»[17].

يحقق التقمص بهذا المفهوم رغبة جبران في البقاء الأزلي فهو يجعل من الموت خطوة ضرورية توصله إلى الخلود، فالموت عنده حرية، لذا هو يفرح به لأنه يبشره بنهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة تقلص المسافة بينه وبين هدفه الأسمى، وكلّما فكّر في الموت وجد فيه لذة غريبة تنقله إلى زمن الروح الكلي الذي يتجدد إلى أبد الدهر. ويجسد جبران اعتقاده هذا تجسيدا شاعريا بقوله: «تتبخر مياه البحر وتتصاعد ثم تجتمع وتصير غيمة وتسير فوق التلال والأودية حتى إذا ما لاقت نسيمات لطيفة تساقطت باكية نحو الحقول وانضمت إلى الجداول ورجعت إلى البحر موطنها. حياة الغيوم فراق ولقاء، دمعة وابتسامة. كذا النفس تنفصل عن الروح العام وتسير في عالم المادة وتمر كغيمة فوق جبال الأحزان وسهول الأفراح فتلتقي بنسيمات الموت فترجع إلى حيث كانت: إلى بحر المحبة والجمال، إلى الله»[18]، وبذلك فالموت ليس فناء بل شكل من أشكال البقاء والاستمرار[19].

وفي كتاب «العواصف» نلمح عقيدة التقمص حاضرة في قصة «الشاعر البعلبكي» الذي عاش في مدينة بعلبك سنة 112 ق.م، وكان مقربا من الأمير وفي أحد الأيام عُثر عليه ميتا في وقت يتزامن مع مثول حكيم هندي في حضرة الملك ليُحدثه عن التقمص، فلما سمع الأمير بموت الشاعر سأل الحكيم عن إمكانية عودته إلى الأرض ثانية وملاقاته به، فأجاب جبران على لسان الحكيم: «كل ما تشتاقه الأرواح تبلغه الأرواح، فالناموس الذي يعيد بهجة الربيع بعد انقضاء الشتاء سيعيدك أميرا عظيما ويعيده شاعرا كبيرا»[20]، وفي سنة 1912 في القاهرة عاد الأمير والشاعر إلى الحياة وتذكرا حياتهما السابقة.

أما كتاب «السابق» فقد خصصه جبران ليبسط فيه رؤيته عن التقمص، إذ افتتحه بمقال «أنت سابق نفسك» الذي أوضح فيه أن الروح تسبق الجسد وتُغيره من فترة لأخرى كالظل الذي ينبسط تحت قدميك عند شروق الشمس ويتقلص عند الظهيرة، وينبسط في الشروق الثاني ويتقلص [21]عند الظهيرة أيضا، ووجود الإنسان في هذه الأرض يشبه تماما ذلك الظل الذي ما إن ينبسط حتى يتقلص حتى تشرق شمس ولادة ثانية تعيده إلى الحياة من جديد[22]، غير أن هذه العودات لا تكون فارغة بل مُحملة بما جنته من أبراج، فما يزرعه الإنسان في حياته السابقة يحصده في حياته اللاحقة، وهكذا دواليك حتى يصل إلى ذاته الجبارة (الذات المثلى) التي يهدف إليها كل إنسان، والتي لا تشرب إلا من قدح المحبة[23]، والتي تزداد كبرا وعظمة كلما انتقلت من مرحلة إلى أخرى بما كسبته من معرفة تحررها من قيود اللحم والعظم، فتحلق حرة طليقة في عالم اللامحدود لأنها كما قالت ثريا ملحس «اتحدت بالذات الإلهية الكبرى، وأصبحت عالمة، عارفة بأسرار الكون والكائنات»[24].

وفي حكاية «الضائع»، التي نشرها في مجلة الهلال سنة 1921 ولم تتضمنها المجموعة الكاملة، مظهر آخر من مظاهر إيمان جبران بالتقمص، إذ يبدأها بأسئلة وجودية ذكرها نذير العظمة: «أين كنا، وما كنا قبل أن تحبسنا الحياة في هذه الأجساد؟ أين كانت وما كانت هذه الأرواح العاقلة الحساسة المضطربة في جسومنا قبل أن تسكن جسومنا؟! في أية حالة من حالات الوجود كانت نفوسنا قبل أن تبني الليالي هياكل نفوسنا؟»[25]. ويلتقي الراوي الذي طرح هذه الأسئلة ببطل الحكاية، سليم الرمال، الذي يعود بذاكرته إلى الوضعية التي كان عليها قبل أن تتقمص الروح الجسد فيقول:

> «تذكرت ما كنت قبل أن أصير، تذكرت كيف كنت قبل أن أصبح، تذكرت حالتي النفسية قبل أن تلدني أمي، تذكرت روحي قبل أن تتخذ الجسد غلافا، تذكرت مصدري وأنا مطمئن لأن في الذكرى ما يثبت مرجعي. أذكر أنني كنت في الفضاء. كنت أشعر بأنني في كل مكان في زمن واحد وفي كل الأزمنة في مكان

واحد. وكنت في أشعة الشمس، بل وكنت الأشعة ذاتها. لا أدري ما إذا كنت ذرة في الأثير أو الأثير كله. ولا أدري ما إذا كنت من أميال الحياة ومنازعها أو كل ما في الحياة من الأميال والمنازع»[26]

فالزمن والمكان في عقيدة التقمص هو زمن ومكان الروح الكلية التي ليس لها بداية ولا نهاية، سيدة نفسها لا سلطة عليها إلا إذا لبست الجسد، والذي تسعى لتتحرر منه بالحب أو الموت.

إن سعي جبران إلى التحرر من حدود الزمان والمكان ومن كل القيود الاجتماعية التي أعاقت تحركه، جعلته يؤمن بعقيدة التقمص إيمانه بالمسيحية، فقربته الأولى إلى التصوف ومكنته من الارتفاع من كاتب عربي إلى كاتب عالمي خُلق ليقول كلمة لم يتمكن من لفظها كاملة، لكننا نرجو أن يعود ليكمل ما بدأه على حد قوله على لسان نبيه المصطفى:

«أنا ذاهب غير أني إذا ذهبت ولدي حقيقة لم أقلها بعد، فإن تلك الحقيقة نفسها ستسعى في نشداني وتلملمني، وإن كانت عناصر جسمي قد تبددت في صمت الأبدية، وأعود ثانية إليكم، بحيث أستطيع أن أكلمكم من جديد»[27].

ويقول في رسالة بعث بها إلى مي زيادة أوردها جان لوسيرف: «أقول لك يا مي، ولا أقول لسواك، إني إذا ما انصرفت قبل تهجئة كلمتي ولفظها فإني سأعود لأقول الكلمة التي تتمايل الآن كالضباب في سكينة روحي»[28].

= = =

الهوامش

[1] غسّان خالد، جبران الفيلسوف شخصية العبقري في منافذ خلاصها، مؤسسة نوفل، بيروت، ط2، 1983، ص252.

[2] جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، تقديم ومراجعة وترتيب ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، ط1، 2002، ص340.

[3] جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، ص ص291-292.

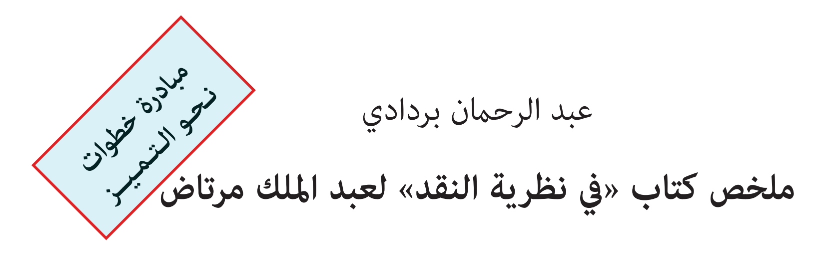
[4] المصدر نفسه، ص283.

[5] ينظر: جبران خليل جبران، مختارات ودراسات، جمع سهيل بديع بشروئي، تقديم اصطفان فيلد، دار المشرق، بيروت، 1970، ص ص121-122.

[6] غسّان خالد، جبران الفيلسوف، ص95.

[7] احمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، مطبعة مكة المكرمة، 1981، ج1، ص103.

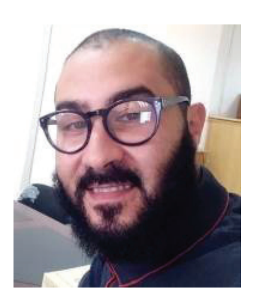
[8] ينظر: ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران حياته- موته- أدبه- فنه، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط9، 1981، ص92.
[9] بولس طوق، شخصية جبران في أبعادها التكوينية والحياتية، دار نوبيليس، بيروت، 2000، ص143.
[10] المرجع نفسه، ص143.
[11] جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، ص33.
[12] المصدر نفسه، ص37.
[13] جبران خ جبران، الأرواح المتمردة، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، ص47.
[14] جبران خ جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المعربة عن الانجليزية، تعريب الأرشمندريت أنطونيوس بشير، دار صادر، بيروت، 1964، ص65.
[15] جبران خ جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، ص197.
[16] من سورة البقرة.
[17] ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، ص92.
[18] جبران خ جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، ص143.
[19] ميخائيل نعيمة، في الغربال الجديد، مؤسسة نوفل، بيروت، ط3، 1983، ص244.
[20] جبران خ جبران، العواصف، المكتبة العالمية الجديدة، بيروت، لبنان، ص165.
[21] جبران خ جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المعربة عن الانجليزية، ص47.
[22] جبران خ جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المعربة عن الانجليزية، ص47.
[23] المصدر نفسه، ص51.
[24] ثريا عبد الفتاح ملحس، القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، د ت، ص151.
[25] نذير العظمة، جبران خليل جبران في ضوء المؤثرات الأجنبية دراسة مقارنة، دار طلاس، الجزائر، ط1، 1987، ص290.
[26] المرجع نفسه، ص306-307.
[27] جبران خ جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المعربة عن الانجليزية، ص480.
[28] جان لوسيرف، النزعات الصوفية عند جبران خليل جبران، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت، ص45.



عبد الرحمان بردادي

ملخص كتاب «في نظرية النقد» لعبد الملك مرتاض

قدم هذا التلخيص ونوقش في جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، في إطار مشروع خطوات نحو التميز



يعتبر هذا الكتاب موسوعة نقدية فريدة، ويظهر على غلافه رسم تشقق في أرضية خرجت من بينها نظرية النقد، وأعلنت عن كيانها. ونلاحظ أيضا وجود زخرفات معمارية إسلامية يتوسطها عدد من الصلبان، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التمازج الثقافي، والتلاقح الفكري الذي يحيل إلى عالمية النقد وشمولية نظريته.

قسم مرتاض كتابه إلى ثمانية فصول، وزعها بترتيب زمني واضح، من لدن ابن سلام الجمحي، وإشكالية الانتحال، وابن قتيبة أول الشكلانيين، مرورا بالنقد المنهجي وخلفيات السياق الفلسفية إلى وهم النسق، وسلطة البناء النصي، وانتهاء بتعددية القراءة أو ما يعرف بنقد النقد.

القراءة والكتابة، النقد،والمستحيل: تقديم أثار به الكاتب قريحة القارئ من خلال الغوص به في فلسفة القراءة وتعقيداتها. فكأن الكتابة والقراءة وجهان لعملة واحدة، ذلك أن الكتابة في أكثر أوجهها لا تعتبر إلا قراءات متعددة أيا كان مشربها.

الفصل الأول: النقد والنقاد، الماهية والمفهوم

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن ماهية النقد وجوهره ليرجع قارئه إلى سنين خلت وصراع فكري ولى. هل النقد علم أم فن؟ سؤال لا زال جوابه محل نقاش عند بعض المتخصصين، في حين أن بعضهم الآخر اعتبر المسألة قد قتلت بحثا، وأن النقد علم في علميته وفن في فنيته ومتاخمته للإبداع الأدبي.

نمر بعد ذلك إلى النقد في الثقافة الغربية الذي بدأت مسيرته تقريبا عام 1580

للميلاد باستعمال أول مصطلح يحيل إلى كلمة «نقد»، ألا وهو le critique عند سكاليني ومن بعده la critique بصيغة المؤنث، وكانت دلالته حينئذ تشير إلى فن الحكم l'art de juger الذي لم يكن يخرج من دائرة الاستحسان والاستهجان الكلاسيكي في الحكم النقدي، ليبقى مفهوم النقد القديم راسخا حتى أواخر القرن الثامن عشر.

بعد ذلك يشير ألبارت تيبودي إشارة مهمة باستحالة تحديد مفهوم متأصل للنقد. فيعتبر وجود النقد شيئا معتمدا على النقاد. وعليه فلا وجود للنقد عنده بل هناك نقاد فقط. بعد ذلك شهد العالم الحرب العالمية الأولى، حيث تميزت هذه الفترة بظهور ثلة من النقاد وبعض من اللغويين الذين ساهموا في إنجاز ف. دو سوسير، الذي قلب الفكر اللغوي في أوربا رأسا على عقب، من خلال محاضراته التي فتحت باب الاجتهاد أمام أجيال وأفراد لحقت من بعده، كالشكلانيين الروس، وجاك ديريدا، وميشال فوكو، وشارل بالي، وآخرين.

النقد أسير ثلاث إشكاليات: أو بالأحرى تحت ثلاثة أهواء، هاته الأهواء التي أصبحت تلاحق النقد ويلاحقها، تلاهثه ويلاهثها، هي نزعة الفن تارة والعلم تارة أخرى. أما الثالثة فهي الاحترافية التي لا تعدو حسب الكاتب إلا أن تكون ثرثرة، أو مظهرا من السفسطة الفارغة، لأن الناقد فيها لا يكون عمله فنيا فيعتبر، ولا علميا فيعمم ولا يندثر.

من خلال هذه الإشارات النقدية، وجب علينا أن نعترف بسبق العرب وإنجازاتهم النقدية، ومن أول وهلة في هذا الفصل نجد بالبند العريض الأسس الكبرى للنظرية النقدية لدى ابن سلام الجمحي، والذي يعتبر كتابه - طبقات الشعراء - إنجازا نقديا يميل إلى العلمية أو المنهجية نسبيا، وقد تقدم كتابَ الطبقات مقدمةٌ فريدة من نوعها، وضع فيها الجمحي أسسا كبرى لصفات الناقد الحق كالتجربة والتحقيق ثم القدرة على التمييز بين النصوص وإمكانية تفسير الظاهرة وتعليل أسبابها كالنحل مثلا.

شكلانية ابن قتيبة: هوالرجل الذي ذكر إنجازه النقدي في الموسوعة الأدبية العالمية، فهو الذي خالف من سبقه فجعل حكمه النقدي عادلا لا يقدم متقدما بشعره ولا يؤخر متأخرا، ومنه فقد وضع ابن قتيبة عامل الزمن جانبا مخالفا لابن سلام، فاحتكم إلى الجمال الفني و الجودة الشعرية؛ لذلك وسم بالشكلانية.

هذه الآراء التي جاءت في كتاب الشعر والشعراء كانت قريبة إلى مفاهيم الحداثة، حيث أن ابن قتيبة تعامل مع النصوص لا مع أصحابها، بل ذهب إلى القول بأن من الشعر من يظل حديثا حتى لو مضى عليه قرون طويلة. فالمدار إذن، على الموهبة والعبقرية، لا على تقدم الزمن، وسلفية العهد.

الفصل الثاني: الصراع بين النقد القديم والحديث

تناول مرتاض الكثير من القضايا الحديثة كماهية النقد التي لطالما تغنى بها في كتابه هذا، وبالأخص عن النقد الحديث والقديم وأزلية الصراع بينهما بذكره للمعارك النقدية والأدبية منذ أزمنة عديدة كالمتنبي وخصومه قديما، والرافعي مع طه حسين حديثا. الصراع الأدبي الذي كانت أبرز مواضيعه هي النقد القديم في العصر الحديث.

نقد الموقفين أو التركيب المنهجي، نقطة تطرق لها الكاتب بشيء من الإطناب، فتحدث عن خدمة السياق للنسق في كثير من المراحل التي تمر بها التجربة النقدية، لذلك وجب على النقاد المعاصرين ألا ينغمسوا في سياق النص من جهة، و ألا يطوفوا حول النسق وحده دون الالتفات لغيره.

الفصل الثالث: النقد الجديد بين التحليل والقراءة

في هذا الفصل تطرق الكاتب إلى مفهوم القراءة أولا ثم التحليل ثانيا، مما جعله يتذكر ويذكرنا معه بقراءات علمائنا المتقدمين التي أسموها شروحا، وقد استحسن ذلك، بحكم أن الشرح لا يرتقي إلى مستوى القراءة، وفي الوقت نفسه لا ترتقي هي إليه، وتفسير ذلك أن لكل منهجه وأسلوبه وربما هدفه، بل وزاويته الخاصة.

إن للقراءة الحديثة طرقا عجيبة تحيل إلى فلسفات متعددة وأساليب فهم عتيدة أو جديدة، لذلك نجد القراءات المتعددة للنص الواحد، تختلف تأويلاتها وتحليلاتها باختلاف مذاهبها ومشاربها كالقراءة النفسية والتاريخية التي تختلف تمام الاختلاف عن القراءة البنيوية أو السيميائية.

بأي أداة و من أي منطلق؟ هل للنقد من ماهية؟ بأي منهج؟ أسئلة جاءت في نهاية الفصل لتعطي الإشكالية رونقها الذي يكمن أولا في سببية نزوعنا إلى الخارج للإتيان بالمعرفة النقدية في الغياب المؤسف للذات الناقدة في كثير من الأحايين والأوقات. فأي أداة تمكننا الخروج بالنقد إلى ساحة الاجتهاد ومن أي منطلق؟ وهل هناك نظرية مسلمة واحدة يمكن الاستنامة إليها؟ والانطلاق منها للاجتهاد؟ أم سيظل الناقد يكتب أسفارا نقدية جامعة لكل المناهج من أجل نص واحد، فتجعل المتلقي حيرانَ أسفا.

الفصل الثالث: النقد والخلفيات الفلسفية

لقد أخذ الحديث عن الفلسفة وتأثيرها في هذا الفصل حيزا كبيرا، بيد أن المناهج النقدية الحديثة وحتى القديمة - على المدى المتوسط - تكمن منابع مشاربها في مذاهب فلسفية مختلفة كالوجودية والماركسية والنفعية البراغماتية. وأخيرا - وليس آخرا -

التقويضية الديريدية [نسبة إلى جاك ديريدا]. وعالج الكاتب في هذا الفصل مفهوم الكتابة لدى الفلاسفة وتعصب بعضهم للكلام المنطوق على الكلام المكتوب.

الفصل الرابع: النقد الاجتماعي في ضوء النزعة الماركسية

في هذا الفصل نجد اجتهادا كبيرا من طرف الكاتب الذي أبى إلا أن يذكر كل صغيرة وكبيرة تخص النقد الاجتماعي، فقد تطرق إلى الأصول الماركسية من جهة والتأثيرات التينية من جهة أخرى، ثم يمر بعد ذلك إلى إشكالية طرحها هو بنفسه، تكمن في قوله: هل النقد الاجتماعي أم علم اجتماع الأدب؟ لكن السؤال الأكبر الذي يثار في نظر الكاتب بخصوص اجتماعية الأدب وسوسيولوجيته هو: بأي أداة يفهم علماء الاجتماع الأدب؟ وبأي الإجراءات يدرسونه؟ وهل بوسع كل الناس أن يغترفوا من علم الاجتماع - الذي حتى عجز عن حل مشاكله - ليدلوا بدلائهم في علم خطير كالأدب؟

كان الجواب عن هذه الأسئلة من الكاتب متوقعا، فبحكم سليقته النقدية استطاع أن يميز بين علم اجتماع الأدب - الذي يعتبر حكرا على الجماعة عند الماركسيين - والنقد الاجتماعي الذي يظن الكاتب أنه الأقرب إلى المنطق وإلى التجسيد الفعلي في العملية النقدية. وإذا كان بعضهم يزعم أن للأدب فرعا في علم الاجتماع، فإن هذه الفكرة تعتبر مغالطة للرأي العام، والطبقة المثقفة خاصة. وإذا تركنا الأدب، والجمل بما حمل، سيصير الفلاح ناقدا حسب الكاتب.

الفصل الخامس: النقد ونزعة التحليل النفسي

نحت مرتاض مصطلح «التحلفسي» بمزج كلمتي «التحليل» و«النفسي»، الذي يعتبر فرويد رائدا له بامتياز. تكمن غاية هذا المبحث العلمي في دراسة النفس البشرية وما يكتنفها من الداخل أو الخارج، أما من الناحية الأدبية فيحاول التحليل النفسي أن يتيح للناقد أو المتلقي - بنسبة أقل - فهم الإبداع على أنه كشف لرغبات جنسية أو عقد نفسية، إلى آخره. لقد تطرق الكاتب من خلال حديثه عن التحلفسي إلى الأسس الكبرى لهذه النظرية التي لا تعدوا حسب أحد النقاد الفرنسيين المعاصرين إلا أن تكون هراء أو عبثا بعقول الآخرين، وتكمن ماهية التحليل النفسي وقيمته في أسسه التي نلخصها في:

=1= أن التحلفسي يعتبر نظرية للحياة النفسية أساسها اللاوعي، و ميدان اشتغالها مكبوتات النفس البشرية.

=2= أن لهذه النظرية منهجا يبحث بعمق في أي مجال تكون النفس البشرية حاضرة فيه، كالأدب مثلا.

=3= أن التحلفسي لا يعتبر حبرا على ورق، بل هو علم متطور يصل حتى إلى العلاج والمتابعة النفسية.

من خلال هذه الأسس نجد الكاتب قد فتح لنفسه بابا مقفلا منسيا، ألا وهو علاقة التحليل النفسي بالنزعات المتاخمة الأخرى، كالنقد الجديد واللسانيات في أبرز صورها. ثم نجد الكاتب قد عرج إلى الحديث عن هيبوليت تين ونزعته العنصرية وفرويد وما قيل عنه. في نهاية الفصل قام مرتاض بنقد النظرية التحلفسية التي يفتقد روادها إلى منهجية التحليل اللغوي وفهمه. فهل نستطيع إسقاط حالة نفسية متعبة مهترئة تغوص أبجدياتها في هذيان على سكان العالم كله؟ وهل نستطيع أن نحكم على مبدع قال «مجنون أنا» بالجنون؟ وإذا حكمنا عليه فعلا، فهل يكون جنونا حقيقيا أو إبداعيا عبقريا؟ كل هذه الأسئلة لم تجب عنها التحلفسية إلى حد الساعة.

الفصل السادس: علاقة النقد باللغة واللسانيات

عالج الكاتب في هذا الفصل مفهوم الكتابة الأدبية بين اللغة واللسان بالإضافة إلى العلاقة الوطيدة التي تجمع النقد الأدبي بعلم اللسان، والتي تتجلى في الجوانب اللغوية للنقد وحاجته الكبيرة - كذلك - لفلسفة اللسانيات الجديدة وما نتج عنها كفكرة النسق والسياق. وقد تطرق مرتاض إلى ثلاث عوامل أساسية لها علاقة وطيدة في ما بينها، ألا وهي اللغة والنقد الأدبي والأسلوب، هذه العوامل التي لا يمكن الاستغناء عنها أثناء مزاولة العملية النقدية.

الفصل السابع: النقد البنوي والتمرد على القيم

ومن دون مقدمات ارتجالية أو تاريخية تطرق الكاتب إلى إشكالية مصطلح البنيوية، والذي اعتبره مغالطة يجب محوها وبيان المصطلح الصحيح - ألا وهو البنوية - ووجوب إظهاره، وتسويقه بين الأكاديميين وغيرهم. بعد أن مر بنا الكاتب عبر الأبعاد اللغوية، ومصطلح البنوية، وتعقيداته، ها هو يعرج بنا إلى الخلفيات التاريخية للبنوية ومن بينها ظهور الرواية الجديدة في فرنسا خاصة ثم إلى رفض التاريخ وإقصاء الإنسان من القالب اللغوي الذي فقد جماليته بإبعاد قلبه النابض.

البنوية التي قتلت الإنسان كما قتلت الإله ونزعت إلى الشكلانية - بعد أن كسرت الصليب - وتمردت على القيم، تعدت إلى أكثر من ذلك برفضها لأكبر التيارات النقدية الأخرى، كالاجتماعية الماركسية، واللانسونية، مع رائدها لانسون الذي طبق منهج التاريخ المقارن على الأعمال الأدبية.

الفصل الثامن: في نقد النقد

كانت من عادة النقاد العرب المعاصرين أن يطلقوا على سابقة meta مصطلح (المابعد) أو (الماوراء) مما استهجنه الكاتب، بحكم أن المصطلح لا يخلو من الغموض وأن ضبطه يعد إشكالية وقع فيها الكثير من الباحثين.

بعد الحديث عن المصطلح (نقد النقد)، توجه الكاتب إلى نقد النقد عند العرب وتجربة علي بن عبد العزيز الجرجاني التي تجلت في دفاعه عن المتنبي وشعره بحكم وجود توارد للخواطر بين الشعراء، وأن اللغة مشتركة بين الأدباء يغترفون منها كما شاؤوا، وهو نقد للنقد الذي كان شائعا بين النقاد الأوائل الذين اتهموا المتنبي بالسلب والإغارة على أشعار غيره، وبأنواع السرقات كلها. ويمكننا اعتبار علي بن عبد العزيز من أوائل المتفطنين لفكرة التناص في الشعر العربي.

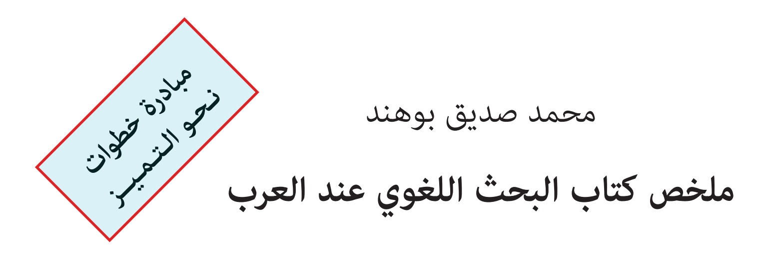
إلى طه حسين، الآن، و تجربة نقد النقد عنده، والتي تجلت في عدة مقالات كتبها ومن بينها «يوناني فلا يقرأ» التي كانت موجهة سهامها إلى عبد العظيم أنيس، ومحمود أمين العالم، وصحيفة «المصري» التي تنشر لهما، وفي السجال الفكري بينه وبين كل من العقاد ومحمود شاكر.

أما عن الضفة الأخرى من المتوسط - أي أوروبا - فقد كان لها من نقد النقد نصيب. كذلك تجلى حسب الكاتب في مقالات رولان بارط ومنها (النقدان الاثنان) و(ما النقد)، اللذان ينضويان تحت مظلة نقد النقد، كما تحدث الكاتب عن كتابات بارط في المقال الأول، والذي استهدف فيه النقد الجامعي والنقد الأيديولوجي، و بين أهمية كل واحد منهما.

واعتبر مرتاض الناقد تزيفتان طودوروف من أوائل من اصطنع مصطلح «نقد النقد»، ومنحه الإطار المنهجي في كتاب (نقد النقد)، الذي تناول فيه الكثير من القضايا في صورة مدارس وأعلام، ففي الفصل الأول كان للشكلانية الروسية حصة الأسد من نقد طودوروف، و من خلال الشكلانيين يأخذك إلى اللغة الشعرية، ثم إلى شعر الملاحم، وصولا إلى بارط، وإيان وات، وختاما بالنقد الحواري. كل هذه القضايا مثلت نقد طودوروف، ورؤيته الأدبية؛ لتكون هذه الكتابات زخما معرفيا متصدرا، و وصولا متقدما إلى يابسة نقد النقد.

= = =

مرتاض، عبد الملك. في نظريَّة النَّقد: متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها. الجزائر: دار هومه، 2005. 264 صفحة.



محمد صديق بوهند

ملخص كتاب البحث اللغوي عند العرب

أدناه ملخص كتاب «البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر». المؤلف: د. أحمد مختار عمر. قدم هذا الملخص ونوقش في جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، في إطار مشروع خطوات نحو التميز



لم يعرف العرب قبل الإسلام أي بحث لغوي يذكر. وكغيرهم من الأمم، كان البحث اللغوي خدمة لكتب الشريعة لكل أمة، ومن أجل تفسيرها وفهم معانيها. ورغم تأخر البحث اللغوي عند العرب حتى القرن الثاني للهجرة، إلا أن العلماء العرب قد أتقنوا الدرس اللغوي، فجاءت بحوثهم كاملة شاملة لكل علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعجم ودراسة الأصوات وحتى الدراسة المقارنة.

المصادر اللغوية

حصر اللغويون العرب مصادرهم التي استقوا منها مادتهم وبنوا عليها قواعدهم في خمسة مصادر : القرآن الكريم (واعتبروه أعلى درجات الفصاحة)؛ والقراءات القرآنية (التي جاءت وفقا للهجة من لهجات العرب)؛ والحديث النبوي الشريف (وقد رفضه الكثير من النحاة ذلك أن الرواة أجازوا فيه النقل بالمعنى ووقع فيه كثير من اللحن عند الرواية)؛ والشعر العربي (استشهدوا به حتى المجهول قائله رغم خروجه عن اللغة السليمة من أجل الضروريات وحصروا مصدرهم في الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين)؛ والشواهد النثرية (ما جاء في شكل خطبة أو وصية أو مثل أو حكمة أو مشافهة عن بعض الأعراب

ممن لم يختلطوا مع الأعاجم). وفي ذلك كله قد استكملوا الثغرات بالمنطق والقياس لا بمعاودة المشافهة.

الدراسات اللغوية عند غير العرب

اتجهت الدراسات اللغوية عند غير العرب إلى النحو ودراسة الأصوات والمعجم، فقد ظهرت في الهند القديمة دراسات للغة السنسيكريتية في فروع علم اللغة المختلفة تناولت الاشتقاق والأصوات والنحو والمعاجم. وقد درسوا الصوت المفرد والمقطع ووُجد فيها ما يقارب اثنتي عشرة مدرسة نحوية يمثل النحو البانيني فترة النضج فيها.

أما عند اليونان فقد كان تطوير النظام الهجائي للكتابة أول عمل لغوي عندهم، وكان التفكير اللغوي عندهم مرتبطا بالفلسفة (الفلاسفة السفسطائيين). وبعد ذلك نُقلت الدراسة اللغوية إلى الرواقيين الذين فصلوها عن الفلسفة. والمصريون القدامى اتجهت دراساتهم إلى فروع عدة: الفيلولوجيا والنحو والمعاجم حول اللغة اليونانية.

وترجم السريان النحو اليوناني وقلدوه. ولم تزدهر الدراسات اللغوية عند العبرانيين إلا بعد اختلاطهم بالعرب وخوفهم من ضياع لغتهم. ومع هذا بدأت دراسة اللغة والنحو العبرييْن لخدمة كتابهم المقدس. ويشهد للصينيين بوفرة كتب علوم لغتهم وقد كانت لهم دراسات صوتية.

الدراسات اللغوية عند العرب

أولا: نشأة الدراسات اللغوية عند العرب

بعد أن دوَّن العرب الحديث النبوي وألَّفوا في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، اتجه العلماء إلى تسجيل العلوم غير الشَرعية كالنحو واللغة وإن لم تقصد لذاتها إنما باعتبارها خادما للنص القرآني، ومنها محاولة أبو الأسود الدؤلي ضبط المصحف بالشكل.

وقد بدأ أهل اللغة بجمع المادة اللغوية (متن اللغة) عن طريق المشافهة ثم تصنيفها و تبويبها. وهكذا تُوِجت هذه الجهود بالمعاجم العربية المنظمة. والبحث النحوي بدأ متأخرا عن جمع اللغة. وقد اختُلِف في أول واضعٍ للنحو العربي إن كان أبو السود الدؤلي، أم علي بن أبي طالب، أم عمر بن الخطاب، أم زياد بن أبيه هو من حرك أبو الأسود الدؤلي لوضع النحو.

إلا أن السبب في وضع النحو، أيا كان واضعه، ما فشي من لحن عقب الفتوحات الإسلامية وفساد ألسنة العرب أنفسهم (من أشكال اللحن: تسكين أواخر الكلمات). وقد

تمت أوليات الدراسة النحوية في مدينة البصرة في الفترة الممتدة من أبي الأسود الدؤلي إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ثانيا: البحث الصوتي

عالج اللغويون العرب المباحث الصوتية مختلطة بغيرها من العلوم، فبالنسبة للنحاة فقد عالج سيبويه الإدغام في نهاية مؤَلفه «الكتاب» وعالجه المبرد في كتابه «المقتضب»، كما تناول المعجميون بعض المشاكل الصوتية، واهتُم بهذا النوع من الدراسات في المعاجم التي رتبت ترتيبا صوتيا كـ«العين» الذي تناولت مقدمته مشكلات صوتية كترتيب الحروف صوتيا ومخارج الأصوات، أما معجم «الجمهرة» فقد زيد فيه على ذلك الحديث عن الحروف التي تتآلف ولا تتآلف في الكلمة العربية.

كما ساهم علماء التجويد والقراءات القرآنية والمؤلِفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة اللذين أثروا البحث الصوتي بمباحث فيما يتعلق بتنافر الأصوات وتآلفها والحديث عن مخارج الأصوات، وأول من أفرد المباحث الصوتية بمؤَلفٍ مستقل هو ابن جني في كتابه «سر صناعة الإعراب»، وقد كان لابن سينا عمل يدخل تحت الدراسة الصوتية هو رسالته «أسباب حدوث الحروف».

ثالثا: النحو والصرف

كان الصرف في أول نشأته مُدمجا ضمن باب النحو وقد جمع مباحثهما سيبويه إمام النحاة في مؤَلفه المعروف بـ «الكتاب» ولم يطور الذين تلوْه هذا العلم بالقدر الكافي، وتحولت كثير من الدراسات اللغوية بعده إلى مجرد الشروح له، وفضل الخليل بن أحمد في «الكتاب» لا يُجحد، وفي نفس الفترة التي كان الخليل وسيبويه ينشران علمهما في مدينة البصرة وُجدَ عالمان آخران في الكوفة هما أبو جعفر الرؤاسي الذي صنف كتابا سماه «الفيصل» ومعاذ الهراء الذي اشتغل بالصرف حتى قيل أنه واضعه، وبعد ذلك سار نحاة البصرة والكوفة جنبا إلى جنب وتنافسا في البحث والإنتاج.

وكان من نحاة البصرة الأخفش سعيد بن مسعدة، وقطرب المازني، والمبرد؛ ومن نحاة الكوفة الكسائي، والفراء، وابن السكيت. وفي فترتهم ازدهر البحث اللغوي وظهرت الكتب الكاملة التي تعالج النحو مثل «المقتضب» للمبرد. وفي هذه الفترة انفصل النحو عن الصرف على يد أبي عثمان المازني الذي ألف «التصريف».

وبعد القرن الثالث هجري نافست أقطار ومدن أخرى البصرة والكوفة في الدراسات النحوية، أشهرها مصر والمغرب والأندلس اتجه علماء هذه البلدان إلى عرض مذهبي

البصرة والكوفة وانتقادهما ومن أشهر نحاة هذه المرحلة: الزجاج، وابن السراج، والسيرافي، وأبو علي الفارسي، الرماني.

رابعا: المعجم

العمل المعجمي هو أصعب نشاط لعلم اللغة، ذلك أن المعجمي يعالج ظاهرة مفتوحة، ومحاولة حصر كلمات لغة حية تكاد تكون أمرا مستحيلا. ومن شروط المعجم الشمول والترتيب، وقد تميز العرب قديما وحديثا بتفنُنهم في أشكال معاجمهم وطرق تبويبها -لما لاحظوا طرفي الكلمة «اللفظ والمعنى»- فرتبوا معاجمهم إما على اللفظ (معاجم الألفاظ) وإما على المعاني (معجم المعاني)، و تنافسوا في معاجم الألفاظ بخلاف معاجم المعاني.

=أ= معاجم الألفاظ: هي المعاجم التي رُتبت مادتها اللغوية بحسب الألفاظ وهي تنقسم بحسب أولوية ترتيب ألفاظ مادتها اللغوية إلى مدرسة الترتيب الصوتي؛ ومدرسة الترتيب الألفبائي؛ ومدرسة الترتيب بحسب الأبنية:

(1) مدرسة الترتيب الصوتي

رائد هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد الذي امتاز بعقلية رياضية وبراعة في الموسيقى. وقد ألف أول معجم في اللغة العربية سماه «العين». وأهم ما يميز هذا المعجم أن مؤَلِفه يجمع مفرداته بطريقة رياضية منطقية، حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية. وفي كل حالة أمكنه الاستبدال وتقليب الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة من الناحية النظرية. ثم ميز بين المستعمل والمهمل، ورتب الكلمات داخل المعجم بحسب أول حروفها من حيث المخرج.

ويعد معجم «تهذيب اللغة» للغوي الأزهري تابعا في منهجه لمعجم «العين». أما من ناحية المادة اللغوية فـ«تهذيب اللغة» ضخم جدا بالنسبة لمعجم العين، والأزهري جمع مادته من نكت حفظها ووعاها من أفواه الأعراب عن طريق المشافهة. وقد أضاف ابن قاسم القالي في معجمه «البارع «وهو أول معجم أندلسي اتبع فيه منهج «العين» بعض ما رآه الخليل مهملا وصحح بعض الشواهد ونسبها إلى قائليها، وقد سار على طريقة الخليل ابن أحمد في كثير من المعاجم العربية كـ«مختصر العين»، للزبيدي و«المحيط» للصاحب بن عباد و «المحكم»، لابن سيده.

(2) مدرسة الترتيب الألفبائي

رتبت هذه المدرسة المادة اللغوية بحسب الترتيب الألفبائي العادي (باعتبار الأشبه والنظائر في رسم الحروف) كالتالي:

= وضع الكلمات تحت أسبق حروفها: وقد اتبع هذا الترتيب ابن دريد في معجمه «الجمهرة» حيث سار على الترتيب الألفبائي ووضع الكلمات تحت أسبق حروفها في الترتيب الألفبائي بعد أن رتبها الترتيب الكمي، واتبع نظام التقليبات كـالخليل.

= وضع الكلمة تحت أسبق حروفها الأصلية: ونُظر في هذا الترتيب إلى الحرف الأصلي الأول من الكلمة وترتيبها بحسب الترتيب الألفبائي، وقد وضعت معاجم بحسب هذا الترتيب كـ«معجم الجيم» لأبي عمرو الشيباني و«المقاييس»، و«المجمل» لابن فارس و«أساس البلاغة» للزمخشري و«المصباح المنير» للفيومي.

= وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد: اتبعت هذا النظام كتب لغوية اهتمت بنوع معين من المفردات كـ«غريب القرآن» لأبي بكر السجستاني و«المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير.

= وضع الكلمة تحت حرفها الأخير دون تجريد: اتبع هذا النظام أبو بشر اليمان في مؤَلَفه «التقفية في اللغة» حيث رتب الكلمات دون تجريدها من حروف الزيادة، بحسب أواخرها ترتيبا هجائيا، قاصدا خدمة الشعراء.

= وضع الكلمة تحت حرفها الأصلي الأخير: رائد هذه الطريقة التي يطلق عليها «نظام الباب و الفصل»، أو «الترتيب بحسب القافية» هو اللغوي الفارابي وتبع هذا النظام الجوهري في معجمه «تاج اللغة وصحاح العربية»(1) وكذا «الصاغاني في مؤلفه الذي مات قبل أن يتمه «العباب الزاخر واللباب الفاخر»، وابن منظور في معجمه «لسان العرب»(2). وممن اتبعوا نظام الباب والفصل أيضا الفيروز أبادي صاحب «القاموس المحيط» وكذلك رتب الزبيدي مؤلفه «تاج العروس».

(3) مدرسة الترتيب بحسب الأبنية

يراعي ترتيب الكلمات في هذا النظام بحسب الأبنية، الحركة إلى جانب الصوت الساكن، ولم يصل التأليف في الأبنية في مرحلته الأولى إلى صورة المعجم الكامل، وأول معجم تُرتب مادته على حسب الأبنية أو باعتبار السواكن والعلل هو معجم «ديوان الأدب» للفارابي الذي قسم معجمه إلى أقسام أسماها «الكتاب» ومنها كتاب السالم، وكتاب المثال، إلى آخره. وقسم كل كتاب إلى شطريْن: أسماء وأفعال. ومن المعاجم التي اقتفت أثر

الفارابي معجم «شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم» لـنشوان، وكذلك فعل الزمخشري في مؤلفه «مقدمة الأدب».

معاجم المعاني

ترتب الألفاظ في معاجم المعاني بحسب الموضوعات، وأخذت البدايات في كتيبات صغيرة يتناول كل واحد منها موضوعا واحدا مثل «الخيل» للأصمعي؛ «خلق الإنسان» لأبي عمرو الشيباني، إلى آخره. كما ظهرت أعمال تجمع أكثر من موضوع في مجلد واحد مثل «الألفاظ» لابن السكيت، «جواهر الألفاظ» لقدامة بن جعفر. ومن أهم الأعمال في هذا المجال «المخصص» لابن سيده. ويعد هذا الأخير أشمل معجم رتب بحسب المعاني، استعان فيه ابن سيده بكل ما كتب قبله من معاجم. ويوجد إلى جانب «المخصص» معجم «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» لابن الاجدابي.

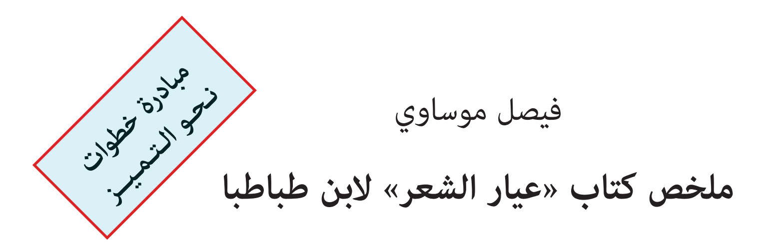
المآخذ على المعاجم العربية

رغم تميز المعاجم العربية وتفنن العلماء في أشكالها وطرق تبويبها إلا أن لها بعض المآخذ تحسب عليها وأهمها: عدم ترتيب المادة اللغوية ترتيبا داخليا ففيها خلط الأسماء بالأفعال والثلاثي بالرباعي؛ وعدم الالتزام بالمنهج المتبع والمصرح به في المقدمة (ما جاء في «ديوان الأدب» للفارابي من أنه لن يذكر المشتقات القياسية. ومع ذلك يوجد في المعجم فعال من جمع فعل)؛ ووقوعها في بعض الأخطاء عند شرح المادة اللغوية؛ والشرح شرحا معيبا نتيجة غموض العبارة، وعدم الدقة في التعبير.

= = =

(1) يعرف بـ «الصحاح».

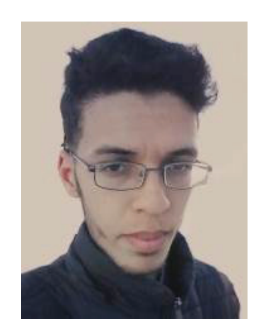
(2) أصدرت دار لسان العرب طبعة من معجم «لسان العرب» بعد أن أعيد ترتيبها على حسب الأوائل وأضيفت لها مصطلحات علمية.



فيصل موساوي

ملخص كتاب «عيار الشعر» لابن طباطبا

قدم هذا التلخيص ونوقش في جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، في إطار مشروع خطوات نحو التميز



افتُتِح الكتاب بمقدمة بقلم الناشر عرض فيها عيار الشعر وأهم القضايا التي وردت فيه، ثم تلت هذه المقدمة ترجمة للكاتب وذكرٌ لأهم مؤلفاته. تعرض ابن طباطبا في هذا الكتاب للعديد من القضايا النقدية التي لها صلة بالشعر، ومن أهمها: مفهوم الشعر، الطبع والصنعة، اللفظ والمعنى، السرقات وغيرها. يبدأ بتعريف الشعر على أنه:

«كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خُص به من النظم الذي إن عُدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه» (ص 9).

فبهذا يجعل ابن طباطبا النظم هو الفرق بين النثر والشعر، ويعتبر أن الشاعر صحيح الطبع والذوق لا يحتاج إلى العروض في قرض الشعر لأنه يفعل ذلك عن فطرة وسليقة، أما من غاب عنه الذوق فلابد من تصحيح ذلك بالتمرس على العروض.

ويذكر ابن طباطبا الأدوات التي يجب إعدادها قبل نظم الشعر ومنها التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر وغيرها؛ وجماع هذه الأدوات كمال العقل. فالشاعر الحق في نظره هو الذي يحسن صياغة شعره فيصفيه من الشوائب ويراجعه مراجعة دقيقة ويحسن حبك أبياته في القصيدة حتى تتآلف وتتجانس لفظا ومعنى.

تـناول المؤلف قضية القدماء والمحدثين مبرزا الفوارق بين أشعارهم، مشيرا إلى أن القدامى قد سبقوا إلى كل بديع ولفظ فصيح، كما امتازوا بالصدق وعدم التكلف. أما المحدثون أو المولدون فيتميزون في أنهم قادرون على التصرف في المعاني التي سبقهم إليها القدماء وحبكها في شكل جديد أحسن من الأول. وجعَل ابن طباطبا أشعار القدماء النموذج الذي يجب السير على منوالِه. ذكر ابن طباطبا مجموعة مُثُلٍ أخلاقية عند العرب بنوا مدحهم وهجاءهم عليها، فأورد مجموعة صفات حميدة ثم ذكر أضدادها. وهذه الصفات استعملها العرب ووصفوا بها في حالي المدح والهجاء فنوعوا في الصور والتشبيهات.

ثم عقد فصلا بعنوان «عيار الشعر» بيّن فيه معايير قياس الجودة والرداءة في الشعر، فعيار حسن الشعر هو قبول الفهم له واستيعابه، إضافة إلى ثلاث عناصر هي: اعتدال الوزن، صواب المعنى، وحسن الألفاظ. فإذا توافر للفهم هذه العناصر الثلاثة تم قبوله له، وأما إذا ما نقُص جزء من أجزائه كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه.

وأعقب هذا الفصلَ فصلٌ آخر ذكر فيه الكاتب أنواع التشبيهات وضروبها من تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، وتشبيهه به معنى، وتشبيهه به حركة، وبطئا وسرعة وغيرها، ضاربا أمثلة من أشعار العرب عن كل ضرب من هذه التشبيهات.

ويضرب بعد ذلك أمثلة للأشعار المحكمة الرصف، المستوفاة المعاني، الحسنة الديباجة، وأمثلة لأضدادها، وينبه إلى الخلل الواقع فيها. وتتوالى الأمثلة عن الأشعار المتفاوتة النسج، القبيحة العبارة التي يجب الاحتراز من مثلها، والأشعار التي أغرق قائلوها في معانيها، والأشعار المتقنة المستوفاة المعاني التي يجب روايتها والإكثار منها، والأشعار الغثة المتكلفة النسج، الباردة المعاني، القلقة القوافي، والشعر الذي يجلو الهم ويشحذ الفهم.

تـناول ابن طباطبا قضية السرقات وأسماها بـ«المعاني المشتركة»، وهو يرى أن الشاعر المحدث إذا أخذ المعاني التي سبقه إليها الشعراء القدماء فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب بل وجب له حسن لطفه وإحسانه فيه. فابن طباطبا بهذا لا يملك موقفا معارضا لقضية السرقات وهذا ظاهر في التسمية التي أطلقها عليها «المعاني المشتركة».

يورد ابن طباطبا الوسائل التي بإمكان الشاعر استخدامها إذا ما سلك هذا السبيل، أي السرقة، فعليه إلطاف الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها، وتلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق بها، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي أخذها منه. أو بأخذ المعنى اللطيف من منثور الكلام، وجعله شعرا، فهذا يعتبر أخفى وأحسن. وبهذا يكون الشاعر كمثل الصائغ الذي يذيب الفضة والذهب فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه.

بعد فصل السرقات، يورد المؤلف أمثلة لأشعارٍ حسنٍ لفظها واهٍ معناها، ولأشعارٍ

صحيحٍ معناها رَثةٍ صياغتها، ثم أمثلة لأشعار معناها بارع صحيح ومعرضها حسن. وفي خضم هذه الأمثلة نلمس تطرق ابن طباطبا لقضية اللفظ والمعنى ونلمس كذلك من كلامه أنه يسوي بينهما (اللفظ والمعنى).

ثم تتوالى الفصول عن الأشعار التي زادت قريحة قائليها على عقولهم، والأشعار التي قصر فيها أصحابها عن الغايات التي أجروا إليها ولم يسدّوا الخلل الواقع فيها معنى ولفظا، والأشعار الرديئة النسج المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي، والشعر المحكم النسج التي وقعت قوافيه في مواضعها وتمكنت في مواقعها.

وكان ابن طباطبا في كل فصل وعند كل نوع من الأشعار يورد الأبيات، فيبيّن مواطن الحسن والجودة فيها، أو مواطن الرداءة ومكامن الخلل فيصححه ويذكر الوجه الذي كان يجب أن يكون عليه. في فصل عنونه المؤلف بــ«التخلص» يتحدث عن ربط الشاعر أغراض القصيدة بعضها ببعض، والانتقال من غرض إلى آخر في لطف وحسنٍ. ثم يقدم نصائح للشعراء فيقول بخصوص قضية الغموض:

«وينبغي للشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة، والحكايات الغلقة، والإيماء المشكل ويتعمد ما خالف ذلك، ويستعمل من المجاز ما قارب الحقيقة، ولا يبعد عنها، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي يأتي بها ... وواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة، لطيفة مقبولة حسنة، مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله إليه... ويجتنب إخراجه على ضد هذه الصفة فيكسوه قبحا ويبرزه مسخا» (ص 123).

ويرى ابن طباطبا أنه ينبغي للشاعر في مطلع شعره أن يحترز مما يتطير به من الكلام والمخاطبات. وعليه أن «أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها» (ص 129). ويختم الكاتب كتابه بالحديث عن القوافي فيذكر أنها تنقسم على سبعة أقسام: فَاعِل، فعال، مفْعل، فعيل، فَعَل، فَعْل، وفُعَيْل. ويذكر أن منها المطلقة ومنها المقيدة.

= = =

المُراجِع: أبو الحسن محمد أحمد بن طباطبا العلوي. عيار الشعر. المحقق: عباس عبد الساتر. نعيم زرزور. منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط 2. 1426 هـ - 2005 م.

دلال بحيص

الإعاقة: عالم من الأسرار



عالم الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة جدير بالاهتمام، ولذلك وجدت من واجبي من خلال هذه المقالة القيام بتسليط الضوء على جزء يسير من واقع حياتهم واحتياجاتهم، مع الأخذ في الحسبان ضرورة التفكير في سبل تحسين ظروفهم والتخفيف من معاناتهم ومعاناة ذويهم. تستند هذه المقالة إلى نموذج الأطفال الذين أعمل معهم ضمن وظيفتي كمعلمة تربية خاصة في قسم الإعاقات الشديدة بمركز بلدية يطّا المجتمعي في فلسطين.

في البداية ستطالعك ابتساماتهم الشفافة والعفوية مع طلاقة البراءة في وجوههم، ولسان حال الكثير منهم: «ليس ذنبي أني لا أستطيعُ المشي والتواصل الطبيعي مع المجتمع الذي أعيش فيه. لا ذنب لي في حادثة الطريق ولا في الخطأ الطبي الذي خلَّف لي هذه الإعاقة الجسدية أو الذهنية. فانا رغم كل شيء إنسان وأن كل هذه الأشياء لا تلغي طاقتي لأني أستطيع أن أمشي وأن أتعلم وان اعمل رغم كل المعيقات. لكن كل ما أريده أن أجد وأسرتي من يوفر جميع الإمكانيات الكفيلة بمساعدتي في تحقيق حياة عادية مثلي مثل أفراد المجتمع الآخرين».

هذا بالضبط ما خطر لعبد الرحمن أن يقول وهو يبكي: «أكره الإعاقة، أكرهها. أريد أن أمشي وان ألعب مثل أخي التوأم عبد الرحيم». يعرف الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة الكثير عن محيطهم الأسري ومعاناة أمهاتهم على وجه الخصوص، وهن في الغالب محرومات من التفاعل الطبيعي مع المحيط الأسري. ورغم ذلك، فالأم تأمل في أن يصبحَ طفلها إنسانا عاديا.

لا بد هنا من الإشارة إلى أن المجتمع بشكل عام لا يتقبل هؤلاء الأطفال، وأن أسرهم أيضا تتحفظ على ذكر مشاكل أبنائها من هذه الفئة للحد الذي يدفع بعض الأسر إلى إنكار وجود «الإعاقة» من حيث المبدأ بين أفراد العائلة، وذلك بدافع الحفاظ على صورة الأسرة

الاجتماعية. وقد يترتب على هذا السلوك قيام بعض العائلات بحبس أبنائها «المعاقين».

كانت بدايتي العملية في هذا المجال خلال عملي على مدى عامين ونصف كأخصائية اجتماعية عام 2008 ضمن فريق برنامج CBR، وهو برنامج مؤقت لتقديم خدمات تأهيل مجتمعي يستهدف الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في مدينة يطّا وريفها، مع التركيز على تقديم الإرشاد والدعم النفسي الاجتماعي لذويهم.

نتيجة لذلك، أتيحت لي الفرصة للتعرف على عالم ذوي الاحتياجات الخاصة حيث جمال قلوبهم وخفة دمهم، إذ لا يعرفون الحقد ولا الكراهية بل يميلون للفرح والمرح.

تعرفت عن قرب على مأساة أهاليهم بكل ما يتعرضون له من ضغوط نفسية واجتماعية جراء رؤيتهم لحال أطفالهم عاجزين عن أداء أبسط احتياجاتهم الشخصية، فيما يقف الأهل عاجزين عن تلبية متطلبات علاجاتهم وأجهزتهم الداعمة.

وأتاحت لي هذه التجربة فرصة التعرف على أمثل الطرق والأساليب الحديثة لرعاية هذه الفئة والتعامل معها. وفق قاعدة البيانات في حينها، كان الحديث يجري عن نحو 4000 حالة إعاقة في المنطقة المستهدفة، وهو رقم كبير في ظل قيام عدد قليل من المؤسسات غير الحكومية بتقديم بعض الخدمات لهذه الحالات، وهو ما كان يعني أن غالبية هذه الحالات كانت محرومة من الحصول على أية خدمة، مع العلم أن هذه الخدمات كانت تقتصر في الأغلب على تقديم التوجيهات والإرشادات للأمهات.

ظل الأمر على حاله إلى أن بادرت مؤسسة قادر للتنمية المجتمعية بالشراكة مع بلدية يطّا لتأسيس مركز خدمات مجتمعية عام 2012 بتمويل من الحكومة الإيطالية يعنى بتقديم خدمات اجتماعية وعلاجية لذوي الاحتياجات الخاصة، ويشمل ذلك التربية الخاصة والعلاج الطبيعي وعلاج النطق وتخطيط السمع، إضافة إلى تطبيق منهجية MOVE في قسم الإعاقات الحركية الشديدة. تقوم منهجية MOVE على فكرة التعلم عن طريق الحركة وذلك بالتكامل المنهجي بين أدوار الأسرة ومركز التأهيل والطفل المعاق لتحسين مهاراته الحركية وتطوير أدائه الشخصي والاجتماعي. يشار إلى أن عملية التعلم تتعلق بإكساب الطفل «المعاق» مهارات حركية مثل الجلوس والوقوف والمشي.

بدأ المركز المجتمعي بتأهيل فريق العمل من ذوي المؤهلات ذات العلاقة بالتخصصات المطلوبة بالمركز، فالتحقنا بدورات مكثفة وذلك للتعرف على أحدث استراتيجيات رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، إضافة إلى الاطلاع على بعض التجارب العملية في هذا المجال من خلال ما قدمه الخبراء والمحاضرون في الدورات والزيارات الميدانية أثناء العمل.

يعمل المركز بروح الفريق من أجل خلق فرص تأهيل حقيقي لحالة لأطفال ذوي الإعاقة من أجل الوصول بهم لدرجة من الاعتماد على الذات في حياتهم اليومية.

وبخصوص القسم الذي أعمل فيه منذ تأسيس المركز، وهو قسم الإعاقات الحركية الشديدة وفق منهجية MOVE، فيتم العمل بالتعاون مع قسمي العلاج الطبيعي وعلاج النطق وذلك بعد مرحلة التقييم الحركي الذي يُقبل الطفل في هذا القسم على أساسه.

تحدد نتيجةُ التقييم الآليات الملائمة لقدرات الطفل خلال فترة تأهيله في المركز، حيث يعكس ذلك أيضا طرق العلاج المطلوبة. ويحدد الأهل الهدف الذي يرغبون في تحقيقه لطفلهم ضمن أهم أولويات حالته ومتطلبات تقدمها، مع العلم أن الطفل يلتحق بالقسم خمسة أيام في الأسبوع بواقع خمس ساعات في اليوم يشعر فيها الطفل ببالغ السعادة عند ركوب باص المركز والخروج من المنزل وذلك لشعوره بأنه مثل باقي الأطفال الذاهبين للروضة أو المدرسة.

وهنا يأتي السؤال: لماذا لا تقبل المدرسة مثل هؤلاء الأطفال؟ هذا السؤال يعكس حالة طفلة من الملتحقات بالمركز تجاوزت السادسة من عمرها، قالت لي: « دلال، نفسي أروح ع المدرسة» قبل أن تدخل في نوبة من البكاء، فأخبرتها أنا: «سأجعلك تكتبين وتلونين وتقرأين». عندما أجلس مع هؤلاء الأطفال على طاولة الأنشطة أجد لمعة السعادة بادية في عيونهم، فمنهم من يقول: «أريد أن ألعب بالملتينة» وآخر «أريد لعبة الليجو». بين هذه وتلك أحاول أن ألبي رغباتهم وأن أستمع لأحاديثهم في جو يسوده الضحك والمرح مع تشغيل الموسيقى أيضا. ولكن عندما يأتي وقت التمرينات العلاجية، منهم من يبكي من شدة الألم، ومنهم من يحاول الهرب إلى غرفة الألعاب. ورغم ذلك فلدى الكثير من الأطفال الكثير من الأمل والثقة بالله، مثل الطفلة جنى التي أخبرتني أنها ترفع كفيها كل ليلة سائلة الله أن يجعلها تمشي.

بعد ست سنوات من العمل الدؤوب، أشعر اليوم أن هذا الفريق، وأنا واحدة منه، وبفضل هذا المركز المميز والمزود بالكثير من التجهيزات والأدوات الداعمة، قد سد فراغا كبيرا وقدم خدمة ضرورية لفئة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. وأسهم هذا العمل في تحقيق تقدم ملحوظ وكبير في تأهيل عدد من الحالات التي منّ الله عليها بنعمة المشي مثل الأطفال الطبيعيين، ومنهم مَن التحق بالمدرسة أسوة بأبناء جيله.

بقي أن نقول أن هؤلاء الأطفال يحتاجون للمزيد من الرعاية التي تتطلب تمويلا خاصا، وتحتاج بعض الحالات لعلاجات تكميلية مكلفة، فهؤلاء لا يبقون أطفالا. ولذا لا بد من التفكير في مستقبلهم كبالغين ضمن إمكانات محدودة ومتطلبات حياة متزايدة ومعقدة. ولا بد أن نفكر في كيف نقدم لهم التأهيل المهني بما يتلاءم مع إمكانياتهم الجسدية والذهنية.

طـه بونيني

الطابع البريدي: سفير الثقافة والفن



نادرون هم من يدركون حجم الثقافة والتاريخ والفنّ الموجود في ذلك المستطيل الصغير الذي نُلصقه في أظرفتنا البريدية قبل إرسالها.

أوّل طابع بريدي صَدر في بريطانيا (The Penny Black) يوم 1 ماي 1840. ومنذ ذلك الحين تطوّرت الطوابع البريدية فصارت لها أحجام مختلفة، ومواضيع متنوّعة فلم تعُد ذات شكل واحد بل اتّخذت أشكالا كثيرة، ولم تعد تقتصر موضوعاتها على صور العائلة الحاكمة، كرمز الملكة في الطابع الأوّل المذكور، بل صارت متحفا لثقافة البلد كلّها. فلو تتبّعتَ طوابع بلدٍ ما عبر السنين، لوجدتَها تحكي كفاح ذلك البلد، وتسردُ قصصه وتعرض صور شخصياته الفذّة، وتروي عاداته وتقاليده.

تحمِل طابعا بريديا فتجدُ صورة زربِيَّة مُزخرفة أو فخّارا مُزركشا، وتحمل آخر فتجدُ صورةً لفنّان أو كاتب خلّد اسمه بين سطور تاريخ هذا البلد، أو قد تجدُ صورةً لمعلم أثري تتواجد في إحدى مناطق هذا البلد، إلى آخره.

باختصار، الطوابع البريدية تعرضُ أجملَ ما يودُ هذا البلد إظهاره والاحتفاء به أمام العالم. فالطابع البريدي يسافر مع الرسالة حيثما حلّت وارتحلت داخل الوطن أو خارجه. وفِي الجزائر لدينا تعبير شعبي، بحيث يُقال للوجه المألوف: «أنت مثل الطابع البريدي»، أي في انتشاره وذيع صيته.

ولذا فهو خير سفير لهذا البلد. سفير تتلخّص دبلوماسيته في مدى ما تستوعبه تلك الميليمترات المُربّعة، من ثقافة وفنّ وتاريخ وإبداع.

أتذكّر أوّل مرّة وصلتني فيها رسالة تحمل طوابع بريدية، من طرف شخص يُشاركني هذه الهواية، عن طريق المراسلة. لا أتذكّر البلد بالضبط، لكنّي لم أنسَ ذلك الشعور الساحر، الذي تمتلكه المراسلة البريدية، فضلا عن استلام مجموعة من الطوابع أو غيرها.

تعتبر الطوابع البريدية لدى هواةُ جمعِها عُملةً يتقبّلونها جميعا، ولُغةً يفهمونها كلّهم، وكنزا يتنقّل داخل ظرف صغير. كثيرا ما كانت تصلني طوابع لبلدان لا تكاد تظهر على خريطة العالم، لكنّ طوابعها تصرخ بالوجود. بل ما لاحظتُه أنّ هذه البلدان الصغيرة المغمورة وسط المحيطات، هي التي تبذل جهدا أكبر في إصدارها للطوابع البريدية.

تنظرُ إلى مجسّم الكرة الأرضية فترى بلداً مثل غرينلاند، يغمره الجليد، فتقول: هل تدبّ في هذه الأرض حياة؟ ثمّ يصلُك طابع بريدي فتهبُّ على خيالك نسماتٌ من ذلك البلد نابضة بالحياة في أسمى معانيها.

تثقّف بالطوابع

بإمكانك أن تضع طابعا بريديا وتفحصه بعينك المُجردة أو بوساطة عدسة مكبّرة، فكأنّك تقرأ كتابا أو تفتح نافذة على ذلك البلد. فإذا درستَ مواضيع الطوابع البريدية لبلد ما كوّنت فكرة عميقة حول هذا البلد.

في الحقيقة ليس عالمُ الطوابع حكراً على الرسائل بل هو عِلم وميدان واسع: (Philatélie) باللغة الفرنسية. وله مصنّفاته وخصائصه وإصداراته وقواعده، وموضوعاته. فالمجال الحيوي للطابع البريدي يعدو الظرف والرسالة إلى أبعد من ذلك، بل جمعُها يُعدُّ هواية قائمة بذاتها. ومن الناس من يُعنى بها عناية شديدة، ويعتبر ما بحوزته من طوابع وبطاقات بريدية، ورسائل أوّل يوم إصدار (lettre 1er jour d'émission)، مفخرةً وكنزاً.

أمّا رسالة أول يوم للإصدار فهي تأخذ مظاهر عدّة أشهرها ظرف بريدي يحمل داخله (أو على ظهره الطوابع الصادرة حينها، وعليها ختم المركز البريدي. وهي تُرافق صدور الطابع البريدي.

والبطاقة البريدية، هي ذلك التذكار الذي تُرسله لصديق أو قريب من مكانٍ تزوره، مع كتابة كلمة، تكون بمثابة تحيّة تصله من مكان عزيز على قلبكما معا، أو لمجرّد التعبير على أنّك لم تنسَه حتّى في أبعد المناطق وأكثرها جمالا.

ربّما نتّفق جميعا، على أنّ كلّا من الطابع البريدي والبطاقة البريدية، قد عرفا أزمنة ذهبية، أمّا في زمن الإنترنت والهاتف النقال، فقد صار كلاهما أشبه بالأشياء التقليدية، أو على الأقل قد قلَّ استعمالهما، لكن مع ذلك، لا غنى عنهما عند هواة الطوابع، والمراسلة البريدية، والكثير من الناس لا يزالون يرون في البريد العادي نكهة خاصّة لا تُعوّضها سرعة اتصالات اليوم، وتكنولوجيا الحاضر. تماماً مثلما لم تَقضِ التكنولوجيا على الكتاب.

زهرة يبرم

زغــدة

نزح جُلُّ أبنائها وأحفادها إلى المدن وبقيت متمسكة بأرض الأجداد متوطّنة فيها كوتد مدقوق، لكنها لا تنفك تحُثُّ ذرّيتها على العودة إلى الأرض. تِلكُمُ هي الجدة الكبيرة، أكبر فرد في أسرتي الجديدة.

كان أول لقاء لي بهما، الأرض والجدة، لما توعكت الأخيرة واقتضى الواجب زيارتها رفقة حفيدها زوجي. امرأة صلبة حكيمة، ذات فهم وفطنة لم تَشْكُ أيّ ترهّل في الذاكرة. اهتمامها بأحفادها الكثر وحنوّها عليهم جعلهم يحرصون على زيارتها في الأعياد والعطل، يُشْركونها أخبارهم، مسراتهم وهمومهم فلا تبخل عليهم برأي سديد أو نصيحة.

أما الأرض، تلك اللوحة الربانية فكل ما فيها رائع يدعو للتأمل: زهورها، فراشاتها، أطيارها، خيراتها، سكانها الطيبون. لقد نشأتْ بيني وبينها حكاية عشق كبير. سِرتُ في مناكبها أتأمل ما حباها الله به من خيرات وجمال، يعتريني العجب ممن هجروها لاهثين خلف المدنية ويسر العيش.

شاسعة على مرمى البصر. بَوَارٌ في معظم نواحيها تعمرها الحشائش البرية. معطاءة يليق بها الزيتون والتين واللوز والتفاح والعنب وكل فواكه الجنة، لأنها جنة الله على الأرض.

أولعتُ بحياة الريف وأبديتُ رغبتي في تشييد بيت لنا على أرض العائلة. وككل شابة تعيش عمرها الربيعي المزهر أملا وتفاؤلا، رحت أطرّز أماني بخيوط لامعة ألوانها من قوس قزح. أخطّطُ لبناء أسلوب حياة خاص بنا ومتفرّد يغلب على تفاصيله الابتكار بركوب أفكار قد تبدو للبعض مجنونة. أحلم ألاّ أسلك مثل القطار طريقا مرسومة.

كل الإنجازات تولد فكرة، وكنتُ أطمح إلى تحقيق فكرتي: منزل وسط الطبيعة، مشتلة أزهار، حقول أشجار مثمرة وكل ما يخطر على بالي من أغراس. وحلمي ليس صعبا أو مستحيلا ما دام التنفيذ يعتمد على خبرة زوجي المهندس الزراعي. وأصبحت أحضن حلمي جنينا.

تكررت زياراتنا للجدة، وتوطدت علاقتي ببناتها وكناتها وحفيداتها وبعض نساء

العائلة. كنا فريقا من النساء المتجانسات وغير المتجانسات. وكانت لمياء أكثر امرأة تشبهني بينهن. كنا متقاربتين في نمط التفكير والأحلام وحبنا للأرض رغم أننا التقينا مرة واحدة في وليمة عرس لقريب مشترك، على الطبيعة، نوع من الأعراس التي لا تخضع للوقت فتستمر إلى الفجر ولأيام ثلاثة. جلستُ ولمياء نتسامر تحت ضوء القمر، فلا نوم حين تلتقي النسوة والصبايا تحت قبة الفلك المزهرة نجوما.

لمياء طبيبة بيطرية تملك من ثقافة العيش الكثير. تحلم وزوجها الطبيب باستصلاح الأرض لبناء عيادتين للطب البشري والبيطري. ويمتد حلمهما إلى إنشاء حظائر لتربية الخيول وعمارات سكنية. بهذه الأفكار يطمح الزوجان الشابان إلى المساهمة في وقف النزوح وإعمار الريف. رأيت يومها أن مشاريعهما على أهميتها تتطلب إرادة كبيرة تفوق ما يمتلكان من ميزانية.

في أحد الصباحات كان نبع الماء القريب من مسكن الجدة قد جف، فرافقت العمات لجلب الماء من نبع آخر خلف تلة قريبة. سرنا على طريق تحفه النباتات البرية حين ظهر لنا فجأة في مكان مقفر مبنى مهجور أبهرني للوهلة الأولى التي رأيته فيها، فعرّجت نحوه لأعاينه. لم أتردد في الاقتراب منه لتأمّلِهِ. توغلت وسط الحشائش اليابسة التي تحيط به وتعمر باحته المسيجة بحائط منقض. خيل لي أن الريح تعوي وتعبث بنوافذه الفاغرة أفواهها، وسرعان ما يتردد صدى السكون أزيزا في الآذان.

ولجت صرحه من بوابة عريضة خلع أحد مصراعيها وظل الثاني يتأرجح مع هبوب الريح وقد تآكل بفعل الصدأ. طفت بغرفه. كانت جدرانه لا تزال قائمة بينما أطر أبوابه ونوافذه قد تآكلت بمرور السنين تحت عاديات الطبيعة. غرفتان باتجاه الشرق وغرفتان باتجاه الغرب وغرفة فسيحة تفتح باتجاه البحر المترائي من بعيد، يتوسطها بهو فسيح تفضي له الغرف جميعا. لكأنه صُمِّمَ من سدّة أحلامي.

وقفتُ قرب النافذة أحدّقُ في السهول والآكام، كما لو أن طفلة الطبيعة فيّ تَنشُدُ ان تجمع نعم العيش الحر الذي تمنته. ورحت أهيم أبني في الأحلام صرحا من خيال، أن أبني بيتي على أنقاض تلك الخرابة الخارقة المهجورة. فأنا امرأة لا تمتلكني المدينة ولا أسمع ما يوشوش الضجيج فيها. وأسميته بيت الأحلام.

فتحت جناحي للنسيم كمن يرغب بالطيران واستدرت لألتحق بالعمات. رحت أسألهن عن بيت الربوة المعزول ذاك. عن مالكه وكيف السبيل لامتلاكه وترميمه؟ هن كبيرات العائلة ويعرفن كل ما يخص الأرض والتعامل معها وعليها.

وجدتهن يرمقنني بنظرات زرعت الريبة في نفسي، ورحن يحدثنني بحذر واحتراس، ويفشين أسرارا مخيفة. فلا احد يجرؤ على دخول تلك الخرابة نهارا. أما ليلا فضرب من

الجنون المرور بقربها . أمور غريبة تحصل هناك: أبواب تصفق، ريح تعصف، ضوضاء، أنين، صراخ، نشيج. وحين التَّعَنُّتُ في تجاهل الأمر، يصدر صوت تصطك منه العظام ذعرا في صيحة متواصلة: «زغدة. زغدة. زغدة.» إنه بيت مسكون بالأرواح الشريرة.

تعود الحكاية حسب ما يشاع في المنطقة إلى الساكن الأخير الذي نزح عنه من حوالي عشرين عاما بعد أن قتلت ابنته الوحيدة بطريقة غامضة، حيث وجدت في سريرها بغرفتها مطعونة بسكين. لم يتحمل الزوجان العيش فيه بعد ذلك، وهاجرا إلى وجهة مجهولة. ومنذ تلك الحادثة صار كل من يمر قربه بعد الغروب يسمع تلك الروح المعذبة تئن وتصدر أصوتا خافتة ترتفع تدريجيا حتى تصبح عالية مسموعة تماما. وزغدة هو اسم الفتاة المقتولة ذات الإثني عشر ربيعا.

كانت النسوة مستسلمات مطلقا للاعتقاد في الخوارق والقوى المجهولة. استسلامهن قادهن إلى الخرافة وحوّل حياتهن إلى نوع من الوهم الكبير. أما أنا فكنت متنكرة مطلقا للخوارق إلى حد غلق منافذ المجهول كله، وأشك في القوى غير المنظورة، لا لشيء إلا لأنها أكبر من إدراكي في تلك الفترة من حياتي. لكني استمعت إليهن مذعورة مصدومة.

أخذتنا مشاغل الحياة، ومرت سنتان لم نزر فيهما الجدة. وكنتُ قد سقطتُ من سرير أحلامي لأن زوجي لم يكن شغِفًا بحب الأرض ولا بامتلاك نصيبه من الإرث فيها. لم يكن مُوَلَّهًا لا بأشجارها ولا بخيراتها، لا بهوائها أو أطيارها ولا بنبع الماء الذي يتفجر من جوفها. وحدث أن ماتت الجدة فانتقلنا هناك لحضور جنازتها. وتقتضي العادة أن نبقى عند أهل الميت ثلاثة أيام بلياليها. هناك سمعت أن بيت الأشباح قد امتلكته إحدى الحفيدات وبنت على أنقاضه ما يشبه القصر. وما تلك إلا لمياء. لمياء التي تفكر وتعمل أكثر مما تتكلم، لم تنثن عن تحقيق فكرتها.

قبل عودتنا إلى المدينة طلبت من زوجي أن يأخذني إلى بيت الربوة لأقدم تهاني للمياء بما حققته مع زوجها من مشاريع، فلبّى طلبي. تملكتني الدهشة أمام بيت الربوة. لم يبق على حاله. على مدخله بوابة رائعة تلمع، وجدران السياج رفعت، واستعاد المنزل بهجة شبابه حتى خيل إلي أن زغدة قد انبعثت من جديد مستجيبة للنداء المتكرر.

كان الوقت بعد العصر والفصل خريفا. استقبلتني امرأة عجوز عند البوابة عرفتُ أنها والدة لمياء. أدخلتني الغرفة التي تطل على البحر وقد صارت غرفة استقبال. رجتني أن أنتظر قليلا لأن لمياء في المزرعة، وغابت في المطبخ فأبخرة البهارات كانت تتصاعد.

سرعان ما هبطت ظلمة المساء على المكان تحت سماء ملبدة بالغيوم، فناديت السيدة لأَسْتَأْذِنَهَا بالانصراف على أن أَخُصَّهُمْ بزيارة في يوم آخر، لكنها أقسمت بغليظ الأيمان أن أبْقَى، فجلست راضخة بينما انصرفت دون أن تُنِيرَ المكان. وأَعْتَرِفُ أن الخوف

استولى علي في منزل شاع أنه مسكون بالأرواح.

وفجأة خيل إلي أنني أسمع أصواتا مبهمة، ثم اتّضحَ لي صريرُ أبوابٍ تصطكُّ، واندلع صوت كالرعد: «زغدة. زغدة. زغدة.» فخرَجَتْ من إحدى الأبواب فتاة في حدود الإثني عشر ربيعا بثوب أبيض وشعر متهدل. اخترقت ظلمة الغرفة بصمت، واختفت خلف ستارة رمادية.

اعترتني قشعريرة باردة سَرتْ تحت جلدي، وهَبّتْ بي ريح من الذعر من قلب هذا السر الغامض. بقيت واقفة أرتعد واسناني تصطكُّ، وسرعان ما هرولتُ نحو الباب حين فاجأتني العجوز من خلف الستارة تحمل مصباحا ضخما بدّد الظلمة تتبعها لمياء.

عَرفتْ لمياء من ارتباكي وشحوبي ما يدور برأسي فعتبتْ على أمها عتبًا خفيفًا لتركي في الظلام، لكني بادرْتُها: «زغدة، لقد رأيتها تمر من هنا». سَارَعَتْ لاحتضاني وتقبيلي مهدِّئةً من روعي، وأجلستني قربها مقهقهة: «إنها ابنتي زغدة». وبدأتْ تعرِضُ القصة:

«هذا المنزل كان لخالي الذي أطلق على ابنتي اسم زغدة لذكرى ابنته التي ماتت فجأة بحمّى شديدة ما جعله وزوجته يهجران البيت إلى مدينة بغرب البلاد. وزغدة في الأصل هو اسمُ والِدتِهِ جدّتي.»

رفعتْ لمياءُ الستارة الرمادية ونادت: «زغدة. زغدة. زغدة» بنفس الصوت الذي أرعد منذ قليل، فدخلت فتاة تشع بهاء وتتنفس حياة وتنبض فرحا وأملا. لقد عادَ الشّبحُ الرقيق إلى الحياة وسط الأزهار وتحت الشمس.

محمد أفضل عبد السلام الوافي

عاشقة الصمت



كانت الشمس تشرق في ذلك اليوم حينما ارتفعت الطائرة من مطار نيو دلهي. شمس ضئيلة تختفي بين ضباب الشتاء. تجمّدت وجنتاي من شدة البرودة. أسرعت الخطى نحو المدينة، ومشيت بين المركبات الواقفة والمصابيح المضيئة في جانبي الشارع، ودنوت من سيارتي ونبضات قلبي ترتفع. سمعت الطائرة تهبط من وراء مقصوصات الغيوم بصوت يشبه صوت الزفير.

هل أبكي؟ لا. لا، بل أتحمّل. ليس هذا الفراق أمرا جديدا في حياتنا. كم تكرّر الوداع بيننا منذ أن بدأنا الحياة معا! سوف يرجع مرة أخرى إلى نفس المدينة في العام المقبل. سوف أتحدث معه طيلة الليالي واضعا رأسي على حجره بكل طلاقة، أو نُحيي الصمت الذي يملأ الحجرة مستمرين في السكوت، وفي النهاية نمشي إلى المائدة خارجين من خيوط الحديث حين نسمع النداء من خادمنا الذي يعمل في المطبخ، ونتناول الشوربة جالسين حول المائدة، ونلعب معا.

سأبحث عنه في كل زوايا الحجرة، وحينما أتعب من البحث يظهر من زاوية مّا بعد الاختفاء كما يظهر الغواصون بعد طول المكوث في عمق البحر. ستجري كل هذه الأمور على مهلها ونظامها بدون أي تغييرات. لن يكون لها نهاية. لكن قال في هذه المرة: «يا حبيبتي، تجاوزت مرحلة الكهولة من عمري». سمعت من كلامه صدى هتاف ينذر بعدم رجوعه، فانتابني خوف لا عهد لي به من قبل.

الموت لصّ يسرق أرواحنا على حين غفلة منّا، أو ضيف لا ينزل منزلا من منازل الدنيا إلا يُبْكِي أهله عند الوداع. لا أحب أن أزور المقابر خوفا من الذكريات المؤلمة اللاتي تتدافع إلى قلبي. كانت بقرب داري غابة، هي مكان لحرق أجساد الهندوسين. كنت أسمع وقت رجوعي إلى البيت احتراق عظامهم حين تأكلها النار. وكثيرا ما شاهدت الدخان يتصاعد إلى السماء مثل الثعابين السوداء. أذكر عند ذلك شخصا واحدا دون غيره من الأشخاص،

فيتبادر إلى ذهني وجه تقلّص جلده مع مرور الأيام والسنين، وشفتان كأنهما زهور ذابلة تتمايل في مهبّ الرياح.

«هل ستفارقني يوما إلى الأبد؟» سألته بعينين مليئتين بالدموع، وتوسّلت إليه ألا يفارقني، وأن يتّخذ العهد عليه حالا، لأنّي امرأة بائسة لا أفكر إلا في المحبّة. نظر إليّ بثغر كأن الحب يرتسم فيه بأجمل ما يمكن. ثم سلاّني بكلمات رقيقة وعذبة وهو يُطَبْطِبُ على خدي. وكان يتسامر معي طويلا إذا جنّ الليل وأسدل سدوله على الكائنات. وقد قال لي مرة أثناء تلك المسامرة إنما محبته لي في موضع لا تدركه الأبصار، فترسل أشعتها من وراء جلده ولحمه وعظمه، لا تنزل به نازلة الموت، بل يخلّدها الدهر في طياته، فقلت في نفسي «لا حاجة إلى القلق». ولو أحببت أن يهبني الله منه أولادا لكان ذلك من أمانيّ، لأنه كان ممنوعا من مداعبة النساء من قبل أطبّائه، إذ كان يعاني من أمراض القلب منذ سنوات. رغم ذلك أحببت أن أقضي الأيام كلها ناظرة إلى وجهه.

لاحظت أثناء مشيه إلى صالة المطار انحناء ظهره إلى الأمام. وكان لرجليه ترنّح مّا خلال محاولته للتخطّي. فسألت لنفسي مغمضة عينيّ: «ألا يرجع إليّ مرة أخرى؟» تذكّرت مغادرتي من دلهي إلى قريتي قبل خمس سنوات في أيام الإجازة، ولمّا وصلت إلى بيتي قالت لي جدتي برغبة عارمة «سنقضي الليالي الآتية بالمحادثة وقت لجوئنا إلى الفراش، ثم ننام». ما أجمل القصص التي سمعتها من جدّتي في تلك الأيام! «طبعا يا جدتي»، أجبتها وأنا معجبة بكلامها. ولكن شغلتني عنها دراساتي وواجبات منزلي.

ولما ركبتُ السيّارة وقت رجوعي إلى نيو دلهي بعد انتهاء الإجازة، رأيت جدتي تجلس في زاوية من البيت ناظرة إلى السيارة بقلب فارغ. ولمّا رمقتها سألتني بصوت خافت: «هل ترجعين إليّ مرة أخرى في الصيف المقبل يا صغيرتي؟ يا للفجع! كأن كلمتها سكّينٌ مشحوذ يقطّع قلبي إلى نصفين، فانتحبتُ صامتة من أجلها.

«نعم يا جدتي الحنونة»، أجبتها بقلب مذبوح، وعانقتها وقبّلت يديها وجبينها، ورَبتُّ على ظهرها ووجنتيها، ولاحظت أن يدها ترتجف أثناء ذلك من شدّة الحزن، ولم تتمالك حبس بكائها ولا كفكفة دموعها. مسحت الدموعَ من عينيها بأناملي وأطراف ثوبي. ثم نقلتني السيارة إلى المطار عبر شوارع ضيّقة متعرّجة في ضواحي الريف الملتف بلحاف أخضر. للأسف ما رأيتها بعد ذلك، بل غابت في الشهر التالي إلى عالم بعيد، عالم ترعى فيه الأرواح. وما أبقت لنا شيئا إلا كرسيها الذي كانت تستند إليه أوقات مداعبة أحفادها، وذكريات حلوة تُطْرِبُ القلوب ولو بعد سنوات عديدة. ما أصعب مصيبة الموت! لا أكاد أطيق سماع لفظه، بل أكره الموت أشد الكراهية.

هذه الأيام قد تناثرت ورائي كما تتناثر الأوراق من شجرة يابسة. وها هو ذا أمامي

يوم آخر؛. يوم لوداع زوجي. تساءلت قلقة: «هل يفرّق الدهر بيننا كما فرّق بيني وبين جدّتي البائسة؟» «الله أعلم». بقيت ساعتان لإقلاع الطائرة، ثم تغيب بأثقالها في كتلات السحب البيضاء. نظرت إليه لمحة أخيرة. ولم أعد أطيق أن يفارقني. ورفعت صوتي نحوه بقلب مجروح: «الوداع. الوداع يا قطعة من روحي». توقف لحظة كأنه يتذكر شيئا، وما التفت إليّ بل واصل مشيه إلى الصالة. وقفت مسمرة في مكاني أرسل إليه نظرات كنظرات الميّت. لِمَ لمْ ينظر إليّ في ذلك الوقت؟ لعله أراد أن لا يحزنني.

بعد دخوله إلى صالة الانتظار مشيت متثاقلة إلى سيارتي، وفي وجهي بقايا أتراح الوداع. قدتُ السيارة إلى دار نسيم الذي كان أحد أصدقائي، لعله يخفّف الشجن من قلبي ويواسيني. وقضيت معه ساعتين، لأنه سكب علي روحي شيئا من الراحة. ثم رجعت إلى المسكن خارج المدينة. وفي أثناء القيادة لمحت صورة أمام عيني كوميض البرق، فدفعت الكابح برجلي ونظرت من نافذة السيارة إلى الخلف، فإذا حطام عربة مصطدمة بشاحنة النفط، وقد تبعثرت حولها أشلاء الجسد بشكل لا يتّضح وجهه تماما، وهو مخضّب بالدماء التي تنزف من جبينه، أمامها حشد من المارين تمنعهم الشرطة من الاقتراب.

ونزلت من السيارة. وحدّقت النظر في ذلك الرجل المصاب من داخل العربة. يا له من كرب!، من هذا المسكين الذي مزّقه القضاء كالورقات المتروكة؟ لعلّ الموت نزل به حينما رجع إلى زوجته البائسة بعد سفر طويل. وَقَفْتُ في مكاني لأن المشهد استوقفني حقا: «يا أيها الموت ما أشدّ رهبةَ وجهك، وما أبشع صورة جسمك»! ثم أسرعت إلى مسكني وغلبني خوف لا أدري مصدره.

انتظرت كثيرا اتصاله الهاتفي قبيل إقلاع الطائرة انتظار الصائم أمام مائدة الإفطار. زادت نبضات قلبي وتزايد قلقي وتوتّري. لكن الهاتف صامت صمت الراكع بين يدي الرحمن. سمعت رنّته مرّة أو مرّتين، فانفلقت في نفسي بذور الأمل. لكن سرعان ما عاد إلى الصمت ملقيا إلى دخائلي جمرات الأسى.

يتكسّر قلبي حينما أذكر كلماته الأخيرة ويتراكم الخوف في نفسي حينما أذكر وجهه. يا إلهي، هل وصلت الطائرة إلى الكويت؟ وهل استقبله المسؤولون من المطار؟ أما كانت المواصفات التي وصفها أمامي عن حسن معاشرة شعب الكويت وعن فخامة الأبنية الشامخات في جانبي الشوارع حلمًا من أحلامه؟ وهل كان إخباره لي أنّ دخْلَ كُلِ فردٍ من شعب الكويت في عام واحد يبلغ خمسة وثمانين ضعف دخل الفرد في الهند؟ وهل كان قوله إن الكويت حضن دافئ لكل من ينسج الأحلام إلى القمم ادّعاء محضا؟ لا أبدا، كلها حقائق أسمعها من مصادر شتّى. ستحميه البلد كما تحمي الدجاجة أفراخها من المكاره.

علمت أن النهار يستعدّ للرحيل، وأن الليل يلتمس من خواصر التلال والهضبات

مكانه. سمعت أصوات الحشرات تنبعث من كل حدب وصوب. وأحسست الليلة بكل ميزاتها، فتبادرت إليّ ذكريات قصص قرأتها من كتب الأدباء. وقضيت تلك الليلة كلها ساهرة العين وفارغة الصبر، ما داهمني نعاس، انتظر تبلّج الصبح بقلب منصهر.

في الصباح أسرعت إلى شرفة المبنى لآخذ الجريدة الملقاة على الأرض، وبعد تناولها ألقيت نظرة سريعة على عباراتها. فجأة شخص بصري أمام خبر فجلست بسببه منهوكة القوى. أحسست الارتجاف يدبّ من رجلي. لم تقلع الطائرة التي انتظرها زوجي أمس لسبب مّا. حوّلتْ الشركة الرحلة إلى اليوم التالي.

انتفَضْتُ من مكاني على الرغم من إعيائي. ولا أدري لمن أتوجه وأين ابحث عنه. تمسّكت برباطة الجأش ولم أتزعزعْ. وقدتُ السيّارة إلى المطار بشكل عشوائي. لم أجد هناك شيئا من أخباره. وذهبت إلى محطة الشرطة من غير أن أضيّع أي لحظة، وشرحت لهم الموقف، فبدأوا التحقيقات.

رجعت إلى بيتي مجروحة البال. ارتميت على السرير وتمدّدت فيه منشورة الأطراف. شعرت كأن روحي تسقط مني، لكن بصيص الأمل ما زال يلوح حولي.

ها أنا ذا أنتظر رجوعه بعد تسع سنوات حين يفرغ من اختفائه كما يرجع الغوّاصون من أعماق المحيط باللآلئ. أحسبه مختفيا عن عينيّ كما كان يفعل في حجرتنا.

لم أصدّق الأحاديث التي أسمعها من أهل المدينة بأنه قد قتل في حادثة مرورية حينما رجع من المطار إلى المسكن في عربة. لكن الصورة التي رأيتها من السيارة وقت رجوعي من المطار ما زالت تتدافع إلى ذهني كتدافع الصخرة من أعالي الجبال، فأقول في نفسي متظاهرا الهمة «ليس هو البتة « فيهدأ قلبي هدوء الجوّ بعد زوبعة هائلة.

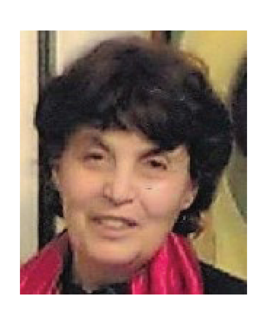
وقفت على حافة من الكثيب تحت شجرة التفاح. شممت منها رائحة زوجي. أحسست لمساته المخفية من بين ذرّات الهواء تداعبني. خيل إليّ كأنه يهمس في أذني لأنظر إلى بروج السماء. رأيت نجما لامعا صوب رأسي على الشفق يتبسّم لي.

آه، ما أجمل هذا المنظر! وما أروعه! أنا على يقين أن الأرواح لا تموت أبدا، وأنها تزور أحباءها في أيّ حين. الآن أراه في كل الكائنات ينظر إليّ بوجه برّاق ويلازمني ملازمة الظلّ للجسد، لا أفرّق بين حياته وموته. الآن كلاهما سواء لي لأنه حيّ بكل معنى الحياة.

أحببت أن أعيش منعزلة عن الآخرين أناجيه كما يناجيني وأسامره كما يسامرني، فكرهني زملائي إلا نسيم الذي كان يعلم قصتي المؤلمة، وسمّوني عاشقة الصمت. لكن حينما يدعونني بهذا الاسم أشعر كأنهم يرمونني بأوراق من الأزهار. ما أطيب رائحتها!

زهرة زيراوي وداعا

تذكير بتكريم زهرة زيراوي في المغرب



انتقلت إلى رحمته تعالى يوم الإثنين، 23/10/2017، الأديبة والفنانة التشكيلية المغربية، زهرة زيراوي. كانت الأديبة الراحلة متعددة المواهب، ولها حضور ككاتبة وشاعرة وفنانة تشكيلية. وقد تعاونت مع «عود الند» منذ سنوات، وكانت البداية في وضع أحد أعمالها على غلاف العدد 64 (10/2011) ، ثم على غلاف العدد 100. وشاركت في أعداد مختلفة بعدد جيد من المقالات والحوارات التي أجرتها للمجلة.

حرصت فقيدة الأدب العربي في السنوات الأخيرة على تنظيم نشاطات يساهم فيها كاتبات وكتاب عرب مقيمون في المهاجر، بغية تقديم صورة إيجابية تدحض الصورة النمطية السلبية التي ترسم للعرب والمسلمين في الدول الغربية. هيئة تحرير «عود الند» تتقدم لعائلة الفقيدة وصديقاتها وأصدقائها بأصدق التعازي. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت الأديبة الراحلة محل احتفاء جمعيات مغربية وطالبات وطلاب جامعات المغرب في عام 2011. وقد أقيم حفل تكريم لها في كلية علوم التربية في الرباط بالتزامن مع يوم المرأة العالمي، في الثامن من آذار/مارس 2013. أدناه التقرير الذي نشر في العد 82 (4/2013) عن حفل التكريم.

أقيم حفل تكريم للأديبة المغربية زهرة زيراوي بمبادرة من جمعيات مغربية وطالبات وطلاب جامعات المغرب. وقد أقيم الحفل في كلية علوم التربية في الرباط بالتزامن مع يوم المرأة العالمي، في الثامن من آذار/مارس 2013. وأشرف على تنظيمه كلية علوم التربية، وجمعية بنو حسان للثقافة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وجمعية لأجل الطنطان. يسر «عود الند» أن تشارك بشكل غير مباشر في التكريم، من خلال هذا الملف. وتجدر الإشارة إلى أن الأديبة الفنانة تساهم في «عود الند» بمقابلات متميزة.

حققت زهرة زيراوي لنفسها مكانة في مجالات إبداعية مختلفة، فهي فنانة

تشكيلية، وتكتب القصة والشعر، ومن مؤلفاتها:

= ديوان شعري بعنوان «ولأني...! «

= مجموعات قصصية منها «نصف يوم يكفي» (صادرة عام 2000 عن دار المعرفة)، و«حنين» (صادرة عام 2007 عن دار النجاح).

= كتاب عن الفن التشكيلي العربي بعنوان «التشكيل في الوطن العربي.»

وقد أعد للمناسبة كتاب عنوانه «عبق الزهرة» أشرف على إعداده د. محمد علي الرباوي، ونسقه إبراهيم أكراف، ويضم قراءات نقدية وشهادات وحوارات ولوحات.

مقطع من مساهمة الشاعر أيوب المليجي في الكتاب (ص 48):

«وقد جعلت من بيتها صالونا أدبيا منذ سنة 1990 مفتوحا في وجه المبدعين، حيث شهد عدة تكريمات لوجوه الثقافة و الإبداع المغربي. و لأنها تعشق العمل الجمعوي الذي يخدم الثقافة و الإبداع خصوصا، فقد عملت من خلال جمعية ملتقى الفن التي يرأسها البروفيسور الدكتور رضائي محمد على إقامة العديد من الأنشطة الثقافية، حيث تعمل مؤخرا على مد جسور التواصل الثقافي و الفني بين المغرب وبلجيكا.»

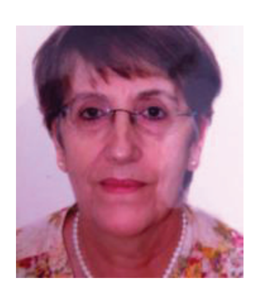
مقطع من مساهمة الناقد المصري، د. عبد العزيز موافي (ص 51):

«وفي هذا الطقس الفنطازي المغلف بضباب الواقع وانقسام الذات، استطاعت الكاتبة المغربية زهرة زيراوي أن تؤسس العالم الداخلي لمجموعتها الأخيرة «مجرد حكاية». فالقصص تعبير عن حالة من التجريد، ينتج عنها محو معالم الواقع و طمس ملامح الشخصيات. وبالتالي، تنفتح كوة في جدار وعي المتلقي، يعاين منها العديد من التأويلات المختلفة، وتعطي الكاتبة قارئها حرية إعادة إنتاج العلاقات الداخلية بين مفردات الواقع، تخلق مساحة أكبر من الانفتاح الدلالي للنص، مما يدخل بقصص المجموعة إلى دائرة الحالات الشعرية، خاصة حين تتبنى لغة تتميز بالانحراف والإزاحة.»

وقدم للأديبة مخطوطة جلدية كتب عليها: «بمناسبة يوم المرأة العالمي، واعترافا من جمعية لأجل الطنطان بإبداع الأديبة والفنانة التشكيلية، زهرة زيراي، وما قدمته خلال مسيرتها الفنية» ثم أبيات من قصيدة للشاعر محمد النعمة بيروك.

لطيفة السليماني الغراس

قراءة موجزة في رواية «الفردوس البعيد» لزهرة زيراوي



هذه قراءة غير متخصصة في رواية «الفردوس البعيد» للكتابة والفنانة التشكيلية المغربية، زهرة زيراوي، التي انتقلت إلى رحمته تعالى في الآونة الأخيرة. عندما قرأت الرواية، وقفت قليلا عند العنوان وقد أحالني على الفردوس المفقود، ووجدت الروائية تماهت كذلك مع الفردوس على الناصية لماريو بارغاس. هذه الرواية تُصدر أنينا حزينا عبر سرد واقع ممقوت، وكان هو الغول الذي يهدد وجود الأديبة، قدم عبر الزمان ولا يترك لها وقتا لا للبكاء ولا للابتسام.

من خلال التذكر، أطلت علينا مرحلة تاريخية عاشتها البطلة نجمة وكأن الرواية ترجمة لحياة تماهت معها، وتُحيلنا على ظروف الحرب العالمية الثانية، وأحداث الترحيل القسري من الشرق إلى المغرب، وتوازي ما وقع لها إبّان المرحلة الأوفقيرية وتاريخ الصراع السياسي والانفتاح المغاربي على الثورات الثقافية، وتأثير الفلسفة في تطوير المعرفة عند الطلاب المغاربة عموما، والطالبات خصوصا وهن يسبحن في عالم مدام بوفاري وكتاب المعرفة لتولستوي.

وتؤثث الكاتبة السرد بأسماء الكتب والأعلام وكأنها تريد إبراز نضال الأنثى التي ولجت رحاب الجامعة وناضلت ضد القهر والتسلط والجهل. عندما استهلت الرواية بحديث نبوي شريف، كانت تؤمن بأن الإنسان لا محالة زائل. وفي الفصل السادس عشر أتت بالآية 125 من سورة النحل: بسم الله الرحمان الرحيم: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» صدق الله العظيم. وهذا يؤكد رفضها للفكر الشيوعي.

وتثير الكاتبة تساؤلات فلسفية حول علاقة الفكر بالوجود، لتعبر عن مرارة جيل بأكمله ناضل ولم يجد الفردوس المفقود لا بالهجرة والاغتراب ولا في وطنه.

كتابة المرحومة زهرة شكّلها الفن والمعرفة، وأفرزت كتابة رومانسية حزينة ترفض الواقع وترفض الفكر الملحد وتشجب ممارسات تيارات دينية تبيع وهم الخلاص من القهر

والجهل. ورفضت الوصاية على الفكر بصكوك غفران. وهي تُدين أشباه المثقفين بصنعهم لسياج كبير حولهم.

ومن خلال استعراض لعناوين الكتب وأسماء الأدباء والشعراء الذين ناهضوا القهر والظلم، تؤكد أن فرص النبوغ في الوطن العربي مستحيلة، وتقول إن كل اليقينيات تتدحرج وتبقى فضاء لا لون ولا طعم ولا رائحة له.

ويواجهها جبروت الغرب وأمريكا عندما صدروا ثورات وهمية. ولم يبق غير الروح الدينية التي تجعلها ترى أن العقاب الإلهي فيما حل من كوارث طبيعية، وإن كانت قد وجدت حتى هذه الكوارث لا تتساوى فيها الدول الغنية والفقيرة، فنتائجها في هايتي وفي اليابان مختلفة.

تتأسى الكاتبة بذكر المناضلين والمبعدين عن أوطانهم وسلاحهم الكلمة. تتأمل العالم وتقول: حتى لا يداهمنا الجنون فيما نؤول إليه، علينا أن نلجه ولا نذوب فيه. وكانت دعوتها إلى أنسنة العالم.



الأديبة الراحلة، زهرة زيراوي، توقع روايتها «الفردوس البعيد»

د. سلمى زكي الناشف

مقتطف: رحلاتي حول العالم

النص أدناه مقتطف من كتاب صدر في الآونة الأخيرة عنوانه «رحلاتي حول العالم كابن بطوطة». المؤلفة. د. سلمى الناشف. الناشر: دار المناهج، الأردن، 2017 . تصف الكاتبة في النص رحلتين داخل دولة فنلندا، في أقصى شمال أوروبا.



كان اسم الرحلة «فرح القطب»، وكانت الأرض جميعها بيضاء، ومغطاة بالثلوج الكثيفة، والثلج يتساقط، وركبنا الميني باص وكنا خمسة عشر شخصا ما فيهم الدليل، ومن ضمنهم شخص مريض تسيره ابنتاه ويحمل جهاز الإنعاش معه، وطفل صغير، وبهذا فقد وجدت نفسي قوية ومناسبة لهذه الرحلة أمام ما أرى، بعد أن كنت متخوفة منها.

وصلنا بعد مسافة ليست بالبعيدة إلى قرية سانتا كلوز [بابا نويل] وفيها المكتب الرسمي لسانتا كلوز، كما يوجد فيها المطاعم والمحلات الكثيرة لشراء ما يلزم من هدايا تذكارية، وفيها تحديد المنطقة التي تبدأ فيها الدائرة القطبية لشمالية. صعدنا مع الدليل إلى مركز إقامة سانتا، ودخلنا دون عناء بسبب المريض الذي معنا، وجاء دوري للالتقاء به، وتحادثنا، ودعاني للعودة إلى روفانيمي مرة أخرى، وسررت بالدعوة ولكنني لم أعده بذلك، والتقطت لنا الصور التذكارية والفيديو الذي يمكن مشاهدته على الرابط التالي: https://youtu.be/Jh56Nn3RWeM

تجولنا بعدها في القرية، واشترينا بعض الهدايا التذكارية. وجاء وقت الطعام في مطعم جميل، دافئ وسط الثلوج الكثيفة، ودخلناه، وتناولنا طعام الغداء، ومشروب البيري اللذيذ المشهورة به فنلندة، ثم تناولنا القهوة الفنلندية، وغادرنا إلى مكتب الشركة السياحية، انطلقنا بعدها في رحلة السفاري، في كاسحات الثلوج الصغيرة، وهذه الرحلة تستلزم لبس الخوذة الواقية.

أخذ كل منا موقعه في الرحلة وعلى كاسحة الثلوج، وبدأنا المسير. سرنا فوق النهر المتجمد، وبين الغابات، والأشجار، إلى أن وصلنا مزرعة غزلان الرنة، وهي ما كنا نراه دوما في الصور ونحن أطفال ونعتقده، أو على الأقل أنا، حلما. رأيناها واقتربنا منها وتحدثنا مع مالكيها، والتقطنا الصور التذكارية معهم.

ورأينا الزلاجات التي كانت مرتبطة بأذهاننا ونحن أطفال بغزلان الرنة. وجاء وقت قيادتها، وبالفعل تقسمنا إلى أزواج ليركب كل اثنين زلاجة، وجاء نصيبي مع مالك المزرعة، وسرنا في جولتنا. أسرع الغزال بطريقة جنونية أثارت خوفي من أن أسقط من الزلاجة، ولكنهم يعرفون ما يصنعون، فقد أخبرني المرافق بأن الغزال يسير بسرعة تصل إلى 50 ميلا في الساعة.

انتهت جولتنا بسعادة بالغة لي بأنني حققت حلما لطالما حلمت به. ومع انتهاء زيارتنا للمزرعة، دعينا للدخول إلى داخلها لتناول الشراب الساخن، والبسكويت، وشرحت لنا بعض الأمور عن الدب القطبي وغيره، ووزعت علينا شهادات سياقة زلاجات غزلان الرنة، وكنت في غاية السعادة، وقفلنا بعدها راجعين بكاسحات الجليد إلى حيث ينتظرنا الميني باص للعودة إلى روفانيمي، وبالذات إلى مكتب السياحة والسفر لتسليم أوعيتنا الشتوية التي استلمناها منهم في بداية الرحلة.

وتم توزيع شهادات المرور عبر الدائرة القطبية في منطقة روفانيمي في فنلندة في مكتب الشركة على كل واحد فينا باسمه، وأضافت هذه الشهادة مزيدا من السعادة لي.

* * *

استيقظت في صباح اليوم التالي وكلي نشاط وحماس للذهاب إلى الرحلة، بعد أن زال ترددي، وامتلأ جسمي بالدفء، فالداخل حرارته مرتفعة جدا تكفي لتشعر معها بأنك لست في الدائرة القطبية بل على العكس قريبا من خط الاستواء. قمت بنشاط، وتناولت فطوري بعد استعدادي الكامل لليوم، وانتظرت مجيء مندوب الشركة، وبالفعل فقد وصل في الوقت المحدد وأقلني إلى حيث موقع الشركة، حيث وجدت عددا من المشاركين لا بأس بهم، وبدأت بارتداء ملابسي الشتوية التي اعتدت عليها ولم أشعر بثقلها كما حدث معي البارحة، وانتهيت منها، وتجمع الجميع مع الدليل وصعدنا إلى الميني باص الذي سينقلنا إلى مزرعة كلاب الهسكي حيث رحلتنا اليوم رحلة سفاري مع كلاب الهسكي في غابات روفانيمي الثلجية.

وصلنا إلى حيث سنبدأ بالرحلة، وبدأت الكلاب تعوي ترحيبا بزائريها، واستقبلنا المسؤول عن المزرعة وأعطانا فكرة عن سياقة الزلاجات، والمسافة التي يجب أن تكون بين زلاجة وأخرى، وهي عشرة أمتار، وكل ما يتعلق بالغابة والرحلة. وابتدأنا الرحلة، التي

أستطيع أن أقول نها أكثر من رائعة، وكنا كل اثنين في زلاجة، أنا والدليل. ابتدأت الدليل بقيادة الزلاجة على أن أتممها أنا في منتصف الرحلة. تستغرق الرحلة قرابة الساعتين، وبالفعل بدأت سياقة الدليل مرتبكة ولكنها أتقنتها بعد فترة، وأنا أجلس مستمتعة بالمناظر الخلابة من حولي والتي لم أرَ مثيلا لها سوى في الصور السياحية، وتوقفنا أكثر من مرة لالتقاط الصور، أو لإعادة التذكير بالتعليمات، أو لترتيب الفريق والتأكد من سير الأمور بمسارها الصحيح.

تابعنا المسير في أجمل رحلة على الإطلاق في حياتي، وكنا مصحوبين بفتاة على كاسحة ثلوج سريعة ومختلفة كحماية لنا، وهي فتاة من أجمل الفتيات التي شاهدتهن في حياتي. وفي منتصف المسافة توقفنا، وقمت بتبديل موضعي مع الدليل لسياقة الزلاجة، المزودة بكابح للسرعة، وعلى سائقها ترك مسافة عشرة أمتار على الأقل بينه وبين الزلاجة التي تسبقه حتى لا يصطدم بها.

في منتصف السياقة أحسست كأن قدمي قد بدأت بالتجمد بالرغم من كثافة الملابس الشتوية التي أرتديها، فأوقفت الزلاجة ثوان، ورفعتها وحركتها أكثر من مرة لأواصل الطريق، ولم أجد صعوبة في ذلك، فالكلاب تعرف طريقها تماما وهي مستمرة به دون توجيه. حتى في التقاطعات أبدأ بالحيرة من أين سأذهب، فتأخذ طريقها الصحيح بثقة لأجد بقية الفريق أمامي. وهكذا استمتعت لأبعد الحدود بالسياقة في هذه المناظر الجميلة بل الرائعة حتى وصلنا، واستقبلنا العاملون بترحاب شديد.

دعينا للدخول إلى داخل المبنى، وقدّم لنا عصير البري الساخن المشهورة به فنلندة، وبعض البسكويت، وأحضر لنا المسؤول كلبا من كلاب الهسكي المشهورة بتحملها للبرد الشديد والتي قد تكون من سيبيريا أو الاسكا أو مزيج منهما، وعمره ثلاثة شهور، وكان وديعا للغاية بحيث أحببناه جميعا وتسابقنا للتصوير معه. وبعد أن انتهينا ودعنا المسؤول وشكرناه، وغادرنا إلى حيث مكتب الشركة، وسلمنا ملابسنا الشتوية، وشكرناهم على جهودهم وغادرنا.

كان علي في اليوم التالي أن أغادر بالطائرة إلى هلسنكي لأمكث فيها ليلتين أغادر بعدهما إلى عمان. وبالفعل غادرت وأنا احمل أجمل الذكريات.

نازك ضمرة

مقتطف من مخطوطة رواية عفان بن نومان



كان تواجد الخال جسّار الكفيف وجلوسه قرب كتّاب الشيخ حامد لتعلم القرآن، وبعض الحِكَم بصياغة شعرية، أو الأحاديث النبوية، عبر إصغائه وانتباهه لقراءة الطلاب الجالسين على الأرض أو الحصير، يتدارسون القراءة والكتابة وقراءة القرآن مع شيخهم حامد.

عندما كان يموت شخص من القرية، كانوا يطلبون من معلم القرية قراءة القرآن قرب جثة الميت أو عند القبر، فيطلب الشيخ حامد الكفيف جسار كي يرافقه، أو يفعلانها نصف ساعة يوميا خلال الأيام الثلاثة الأولى، أو سبعة أيام بعد دفن الميت، حسب إمكانيات أهل الميت أو معزتهم له، حتى لا يشعر فقيدهم بالوحدة كما يعتقدون، ولكي يجيب المتوفى على ملك الموت بلسان عربي فصيح، مقرا بدينه وبكتابه وبنبيه.

وقليل من الميسورين والمتدينين كانوا يصرون على قراءة القرآن عند قبر ميتهم أربعين يوما، ويزورون القبر كل يوم خلال هذه المدة، أو مرات عدة كل أسبوع. وكانوا يقومون بعد الأربعين بفك طقوس الحداد، وعمل وليمة كبيرة لأهل القرية، يأكل الفقراء والمحتاجون اللحم والحلوى يومها، ويسدّون جوعا وحرمانا من اللحم لازمهم شهورا أو أسابيع.

* * *

بعد ستة شهور من أسره، بدأ عفان يتعايش مع عمله في حدائق المعسكر عقابا له، واستهزاء بقدرته على التمرد. يخاطب المجندة ريتشيل المسؤولة عن مراقبته ونقله من زنزانته إلى منطقة عمله حول المساكن والبيوت في المعسكر: « لن أنسى يا ست ريتشي ما عانيت في الأيام الأولى بعد أسري».

«اسمي ريتشيل. كم مرة اصحح اسمي لك؟ أو هو راشيل كما يعرفه العرب.»

«يعجبني ان أناديك ريتشي، ريتشي، اسمعي يا ريتشيل، لا أستطيع أن أنسى العذاب

الذي عانيته، قلت لهم ليس لديّ سرّ أخفيه. الحيوان البولوني المجند حطم عظامي وأوشك على قتلي في الساعات الأولى لأسري».

«وهل تنسى أنك أسير عربي؟ حافظ على حياتك وعملك، تعاون واعمل كما هو مطلوب منك في معسكر الأسر، إنس ما عانيت. كل إنسان يعاني يوما ما من مشكلة، وها أنت الآن سليم ومعك حرية القيام والقعود والأكل والنوم، وماذا تبتغي بعد؟»

«سمعت البولوني يقول للمجند البريطاني، لا همّ عنده إلا ملاحقة أي فلسطيني، ثم لشهور أربعة وهم يحققون معي، مستخدمين أساليب مؤلمة من التعذيب، ما أقسى أن تقع أسيرا عند أعدائك؟

«قلت لهم مرارا وتكرارا، إنني لم أقصد الإضرار بأحد يوما ما، وجريمتي الوحيدة أنني جرؤت على دخول أرض أجدادي، إنها أرضي ، أرضنا، ورثها أبي عن أبيه، عن جدي، وأهل قريتنا لا يعترفون بحدود تحول دونهم ودون فلاحة أرضهم التي لم تدخل ضمن خطوط الاحتلال عام 1948. كان يقودهم ضابط أمريكي أو بريطاني، يتكلم الإنجليزية بلهجة أصيلة، ولا يتحدث العبرية.»

«وكيف عرفت أنها لهجة إنجليزية أصيلة؟» تهز راشيل رأسها دون تعليق، تنظر حولها شرقا وغربا، تدور وتهتم بشؤونها، تعدل من لباسها، تتأفف وتفتح زرا إضافيا، فتحرك رأسها يمينا ويسارا، كأنها تخلصت من حزام أو ضيق كان يخنق أنفاسها. تعيد نقل رشاشها الأوتوماتيكي التشيكي اللامع من يدها اليسرى ليدها اليمنى، ثم توجه كلامها له آمرة:

«استمر في عملك، بعدين سلوم بعدين، تتكلم بعدين، أنت كلام كثير، هنا شغل، عمل، أنت أسير عند إسرائيل. هل أنت جائع سلوم؟ أتيت لك بطعام اليوم، وجبة بسيطة بطاطا مقلية وحبوب بازيلا خضرا وقطعة دجاج».

يواصل سلوم كلامه: «إن الكثيرين من الفلسطينيين عملوا مع الإنجليز في معسكراتهم وورشهم، قبل انتهاء انتدابهم الخبيث على بلادنا فلسطين، وكثيرون يعرفون لغتهم ولهجتهم جيدا. معظمنا تعلم الكثير من المفردات الإنجليزية ليسهل علينا التفاهم معهم عند الضرورة».

لحظتها يتذكر عفان (سلوم) زوجته ديجة، فيسكت عن الكلام، يصفن وعيناه تتأملان الأفق الشرقي البعيد، فيخاطب نفسه حالما:

لك يا ديجة أعيش تحت الظلم، وفي جو يأس قاتم أصرّ على الحياة، على أمل أن أعود لك، أشكر الله أنني رفضت أن ترافقيني، وإلا كنت سجينة أسيرة ذليلة مثلي هنا، ومن المحتم أنهم سيفصلوننا عن بعضنا، أشكر الله ثانية أنني كنت رجلا حازما معك، ولم أسمح لك بمرافقتي،. وماذا لو سجنوك في مكان لا أعرف عنه؟ فماذا استطيع أن افعل؟ لا

شك أنني سأصاب بالجنون، لأنني أعلم أن أحدهم سيواقعك رضيت أم أبيت.

واحدا؟ ربما عشرات من المفترسين، أمثال البولندي والألماني والهنغاري والفرنسي والبريطاني والحبشي، لأنهم اعتادوا على إذلالنا أثناء انتدابهم على فلسطين، حتى أن البولندي حاول الانفراد بي واغتصابي حتى أنا نفسي، الموت لي وقتها.

في ضميري أهمس لك يا زوجتي العزيزة ديجة، أستظل بشجرة تين قديمة هذه اللحظة، ثمارك شهية أيتها الشجرة وديجة كذلك، وظلك أجمل. أدخلي مرآة عيني، ليبزغ قمر بوجه فلسطيني، به غمازتان وذقن ملساء أنيقة، تكتسب سمرة مع شروق كل شمس، ولا في الأحلام. آه يا ديجة! أراك أمامي تتمطين، وأرى يمامتين تتنقلان من غصن، هناك في حديقتنا تتلاصقان.

يبهرني رعشان الشعر الأسود الفاحم الناعم، فوق رأسينا، يغمرني العبق الفلسطيني الريفي، أغصان أشجارنا طرية وأوراقها ناضرة، ممشوقة تهتز وترتعش، نلتصق فنصبح شجرة واحدة، كيانين لا ينفصلان، تسافر أمواج الأشواق في عباب بحرنا، تظلّ مشتاقة لشواطئ قلبينا الحنونين، تحمل معها في سفرها أعتى الأحمال والسفن، صاعدة نازلة، أمواجنا أمينة تحفظ ما عليها وتوصلها إلى مبتغاها مستقبلة أو مودعة، تنشط مع الريح والأمواج لكنها تعود لمكاننا الذي نتواجد فيه ويتواصل نبض بحرنا الرفيق.

أحمد الله ثانية أنك حرة بين أهلي واهلك يا ديجة، أحادثك كأنك قربي، وحين نلتقي سأقص عليك المزيد مما عانيت، وما سأعاني بعد هذا اليوم، هذا إذا أطلق سراحي ثانية يوما ما.

مختارات: غالب هلسا

مقتطف: حوار مع إميل حبيبي ورؤية لأعماله

النص أدناه مقتطفات من دراسة منشورة في مجلة «الكرمل»: العدد الثاني، 1 تموز (يوليو) 1981، وهي للروائي والناقد الأردني الراحل غالب هلسا، وعنوانها «حوار مع إميل حبيبي ورؤية لأعماله». العدد متوفر في موقع تابع لشركة برامج الحاسوب، صخر. رابط للموضوع في ختام المقتطفات.



سعدت حقا حين علمت أن الأستاذ إميل حبيبي قد كتب ردا على الآراء الواردة في الندوة التي نشرت في «السفير» تحت عنوان «تجربة إميل حبيبي» وأدارها علي حسن خلف، وشارك فيها يحيى يخلف وفيصل دراج وأنا. وقد نشرت في صحيفة «السفير» بتاريخ 1980/10/12. وقبا أن أعلق على آراء إميل حبيبي، أود أن أسجل الحقائق التالية:

= لم تنشر «السفير» إلا ما يقارب من ثلث ما قيل في الندوة.

= رغم هذا، لم تقم «السفير» بتحرير وصياغة المادة النقدية التي تم تسجيلها، فهناك فارق بين كلام يدور شفاهيا بين مجموعة من الناس، وبين نشر هذا الكلام للقارئ.

= إن آرائي التي قلتها في أدب إميل حبيبي، التي قلتها في الندوة، جاءت مبتورة وغير واضحة. ولكن هذا لا يعني بالطبع أنني أتنكر لها.

= إن الأخطاء المطبعية قد لعبت دورا في تحوير الكلام الذي قيل، وفي جعله، أحيانا، لا معنى له على الإطلاق.

رغم هذا، فإن الأفكار الأساسية قد وصلت إميل حبيبي.

وجاء رد الأستاذ إميل حبيبي، نشرته جريدة «الاتحاد» بتاريخ 81/11/16، وأعادت «السفير» نشره بتاريخ 1981/3/1. عندما قرأت الرد، لا أخفي أني ابتأست، فما ظننته بداية حوار جاد وعلمي، تحول إلى مجرد مناكفة. وبتحديد أكثر، إن كل القضايا الموضوعية

التي أثيرت في الندوة قد تحولت، علي يدي الأستاذ حبيبي، إلى قضايا ذاتية بحتة، يعني الاستجابة لها، دون سيطرة على ردود الأفعال، شجارا متبادلا، أو ردحا وفرش ملاية على الطريقة المصرية. ولضبط ردود الفعل، علينا أن نحتكم إلى منهج، أعتقد أننا كلنا نتفق عليه، أعني به المنهج الماركسي. لهذا، كان آخر وأبعد ما توقعته من كاتب ومفكر ماركسي، مثل إميل حبيبي، أن يلجأ إلى منهج النية، فالنقد بالنيات، والأعمال الفنية، أيضا، بالنيات.

إنما النقد بالنيات



حاكم الأستاذ حبيبي كل الآراء التي قيلت في الندوة باعتبارها ستارا يخفي نوايا شريرة. استثنى الأستاذ يحيى يخلف من سوء الطوية، لأنه لم يقل إلا مدحا. ومن الواضح أن إميل حبيبي اعتبرنا - فيصل وأنا - من أركان، أو على الأقل من أعوان وأتباع أنظمة القطاع العام العربية، وأننا - بشكل جوهري- معادون للشيوعية والطبقة العاملة العربية. وفق هذا التصور حاكمنا، وهو تصور أقول يقينا إنه لا يستند إلى الحقيقة، أو إلى معرفة بشخصينا.

ويقول فيصل دراج إن «لكع بن لكع» تفتقد الروح العفوية التي سادت أعمال إميل حبيبي السابقة. ودراج في تقييمه العالي للعفوية يتفق مع إميل حبيبي الذي يقول:

«إن طريقي في الإنتاج الأدبي هي التزام الصدق المنفلت (بلا أية قيود) في التعبير عن الواقع. وتعلمني تجربتي أن هذا الأمر لا يتم للكاتب إلا بمدى نجاحه، عبر أقسى المعاناة، في إطلاق سجيته في قيود العقل الواعي المثقل بالهموم اليومية».

ويتحدث الأستاذ حبيبي في الحوار الذي أجرته معه مجلة «الكرمل» أن الصدق الكامل وإطلاق اللاوعي هما الالتزام الحقيقي. وقلت أنا إن الفنان العظيم الصادق، حتى وإن كان يحمل أفكارا رجعية أو ينتمي إلى طبقات رجعية، فإنه يتجاوز -في فنه- آراء طبقته. ولا أعتقد أن أحدا، عدا إميل حبيبي، يمكن أن يدعي أننا - نحن الثلاثة - مختلفون، فقد قلنا الرأي نفسه، وبكلمات تكاد تكون متشابهة. ولكن منهج النية الذي يلتزمه حبيبي قد جعلنا نقف في تناقض عدائي. فماذا قال؟

«ولكن فيصل دراج، كما ظهر في ندوة «السفير» لم يستطع (أو لم يشأ) أن يرى موقعي وموقع جيلي في عملية النقد الذاتي التي قمت بها في «لكع»، فإذا به يتهمني بأنني فقدت «العفوية السابقة»، أي تلك التي ميزت أعمالي الأدبية

السابقة. ويبدو أنه كان ينتظر مني ما لا يقل عن أن أتجاوز موقفي السياسي وأن أتجاوز طبقتي، الطبقة العاملة، كما تجاوز بلزاك طبقته الأرستقراطية (هذه الحجة جاءت في محاكمات غالب هلسا في «ندوة « «السفير» نفسها) حتى يتسامح ويغدق على عملي وسام «العفوية»! إنني أسمع، عبر العصور السحيقة، صوت عمرو بن العاص في مؤتمر أذرح».

وهكذا فإن الأستاذ إميل حبيبي قد نحى جانبا الأفكار المطروحة، وناقش نوايانا، والسبب؟ دفاع مشروع عن الذات، فدراج وأنا، كنا نهدف إلى التغرير به، وجعله يتخلى عن طبقته العاملة، ويكتب أدبار معاديا، كما كان شأن بلزاك ودستويفسكي عندما تخليا في أدبهما عن مواقعهما وأفكارهما الرجعية، بل هو، زيادة على هذا، قد كشف الغطاء عن التكتيك الخبيث الذي لجأنا إليه: ندعوه إلى خلع طبقته، متظاهرين أننا سنفعل مثلما فعل. وعندما يقع إميل حبيبي في الهوة نفاجئه بأننا ثبتنا مواقع طبقتنا.

[...]

السداسية

أعلم جيدا أنني أقوم بدور «عجائز» الفرح في تقييمي لأعمال إميل حبيبي الأدبية. الكل مجمع على الإعجاب بما كتب - خاصة «المتشائل» - إلا أنا. ألا يعد هذا خروجا على إجماع الأمة؟ أذكر ندوة عن «المتشائل»، أقامها اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، فرع القاهرة، شاركت فيها مع الدكتورتين لطفية الزيات ورضوى عاشور. وكانت الدكتورتان شديدتي الإعجاب بالرواية. ولم أكن كذلك. وكان جمهور الحاضرين متعاطفا مع الرواية، ومع آراء الناقدتين. أما آرائي فلم تقنع أحدا.

ولكني - وهذه ميزة مصر - لم أواجه اتهاما بالخيانة، بل نقاشا ساخنا، امتد إلى خارج القاعة، وإلى الأيام التالية، فالمثقفون المصريون، ربما لغياب مؤسسة القبيلة، لا يلتزمون بمنهجية النية النقدي، المشرقي-البدوي، والذي استطاع الأستاذ إميل حبيبي، بمقاله الذي نناقشه هنا، أن يتسيده دون منازع. رغم هذه المحاذير - إجماع الأمة ومنهج النية وما يترتب عليهما - فسوف أناقش أعمال حبيبي الأدبية، بادئا بـ «سداسية الأيام الستة».

[...]

وبعد، فهذا الحديث الطويل استجابة لدعو الحوار التي أطلقها الأستاذ إميل حبيبي. ولا أود أن أغمط نفسي حقها، فأقول: إنها أيضا محاولة لنقل هذه الحوار من الذاتي، من المناكفة، إلى الموضوعية. وأملي أن ندخل هذا الحوار بآفاق رحبة، ولا تصادر على المطلوب

فيها، اتهامات جزافية، وولا تعال غير مبرر، يرى في النقد هجاء، ولا يرى فيه علما من أهم ما أنتجت الحضارة البشرية. إنني أتفق تماما مع الرأي القائل: إن أعظم إنجاز معرفي هو عندما حاولت البشرية أن تضع نظرية تفسر فيها الفنون.

البشرية هي فعلت ذلك، فهي وضعت اللبنة الأولى لمعرفة القوانين التي تصيغ العقل الإنساني، وبالتالي وعي الذات.

= = =

للاطلاع على الموضوع كاملا، استخدم/ي الرابط التالي:

http://archive.sakhrit.co/newPreview.aspx?PID=2132844&ISSUEID=2910&AID=88183

«رؤى فكرية»: دعوة للكتابة

الاستشراق والأدب العربي المعاصر

تخصص مجلة «رؤى فكرية» الأكاديمية المحكّمة عددها السابع (شباط/فبراير 2018) لموضوع «الاستشراق والأدب العربي المعاصر: التلقي والتأثير». آخر موعد لاستقبال المشاركات 30 كانون الأول (ديسمبر 2017). «رؤى فكرية» تصدرها جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس، الجزائر. التفاصيل المتعلقة بإشكالات القضية ومحاور العدد على رابط الدعوة للمشاركة أدناه.

http://www.univ-soukahras.dz/ar/service/mrf/a/19135

د. حسنية عزاز

مشروع أقلام واعدة

لتنمية روح البحث والإبداع والرغبة في القراءة والكتابة والنقد والبحث، ولاكتشاف المواهب وصقلها وإبرازها، أطلق قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة جيلالي ليابس في مدينة سيدي بلعباس الجزائرية مبادرة «أقلام واعدة: طريقك نحو الإبداع».

تستقبل المبادرة، التي ترأسها د. حسنية عزاز، الأعمال الإبداعية في الشعر والقصة والرواية والمسرحية ومجالات إبداعية أخرى. يرفق العمل الذي يرسل إلى المبادرة باستمارة يمكن تحميلها من موقع الجامعة. ومع أن المبادرة سوف ترحب بالإبداعات المكتوبة بالعربية والفرنسية والإنجليزية، إلا أن المرحلة الأولى مخصصة للغة العربية.

تشمل أهداف المبادرة عقد ندوات أدبية بحضور مختصين في المجالات الأدبية المذكورة سابقا؛ وصقل المواهب من حيث الفصاحة والبلاغة والكتابة الأدبية، بما في ذلك العروض وموسيقى الشعر، وفنيات القصة والرواية، والكتابة المسرحية؛ وتكوين لجان لقراءة الأعمال الأدبية وتقييمها؛ وتكريم أصحاب الأعمال المتميزة ونشر إبداعاتهم.

يتم إرسال العمل الإبداعي مرفقا باستمارة المشاركة بالبريد الإلكتروني إلى العنوان التالي: tariko_alibda3@yahoo.com

يتعاون على تطبيق هذه المبادرة قسم اللغة العربية وأساتذته ونادي الضاد في الجامعة. ويسر مجلة «عود الند» الثقافية أن تدعم هذه المبادرة، وتأمل أن تعمم وتطبق في كل الجامعات والمدارس الثانوية. وتدعو الطالبات والطلاب إلى الاستفادة من المعلومات المنشورة في المجلة عن أساسيات الكتابة مثل أحكام لطباعة واستخدام علامات التنقيط/الترقيم استخداما سليما. ونشجعهم على تحميل هذا الكتيب الذي يلخص هذه الأساسيات.

https://www.oudnad.net/maktaba/dalil_kitaba_oudnad_2014.pdf

صفحة نادي الضاد في فيسبوك:

https://www.facebook.com/nadidad155/

للباحثات والباحثين: أرشيف رقمي

أرشيف المجلات الأدبية والثقافية العربية

إيمانا من هيئة تحرير «عود الند» بأهمية المراجع للتمكن من إعداد بحوث عالية الجودة، نشير بين الحين والآخر إلى مواقع غنية بالمراجع المفتوحة. وفي هذا العدد (الفصلي السابع؛ شتاء 2018) نود الإشارة إلى موقع «أرشيف المجلات الأدبية والثقافية العربية». الموقع تابع لشبكة برامج الحاسوب، صخر، ويحتوي على مجلات من مختلف الدول العربية، إضافة إلى مجلات بالعربية صدرت في دول غير عربية.

الأعداد متوفرة في الموقع كصور، ولذا لن يمكن استخدام خاصية البحث داخل الموضوع الواحد. ولكن الموقع مزود بخيار البحث عن أسماء كتّاب أو البحث في عناوين الموضوعات المنشورة في المجلات. وهذا يسهل عملية البحث كثيرا.

أيضا لا يمكن تحميل عدد بكامله، بل كل صفحة على حدة، وبنمط صورة، ولذا لا بد من إعادة طباعة الكلمات أو السطور التي قد تود الإشارة إليها في بحثك (لا تنس توثيق المرجع).

عنوان موقع الأرشيف:

http://archive.sakhrit.co/DefaultArchive.aspx



جابر سليمان

فلسطين: مئة عام على وعد بلفور



أحيت الجماهير الفلسطينية في مختلف أنحاء العالم الذكرى السنوية المئوية لما سمي وعد بلفور، الذي مهد الطريق إلى تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود. ورد الوعد في رسالة موجهة من وزير خارجية بريطانيا، آرثر بلفور، إلى ليونيل روثتشايلد، أحد أصدقاء حاييم وايزمان، زعيم الحركة الصهيونية في ذلك الحين. وحملت الرسالة تاريخ 2 تشرين الثاني (نوفمبر) 1917. وقد أقيمت في لبنان نشاطات مختلفة في هذه المناسبة، شارك في عدد منها الباحث الفلسطيني، جابر سليمان، الذي أعد المقالة أدناه وهي خلاصة للأفكار الأساسية التي طرحها في عدد من النشاطات، أبرزها: الطاولة المستديرة التي عقدتها شبكة السياسات الفلسطينية، وشارك فيه عدد من المحللين السياساتين للشبكة؛ وندوة النادي الثقافي الفلسطيني في الجامعة الأمريكية-بيروت؛ وندوة مركزالشباب الفلسطيني-مخيم البرج الشمالي في منطقة صور.

في ذكرى مئوية موعد بلفور: فلسطين بين إعلانين/وعدين: بلفور وأوسلو

ينبغي التذكير بإن الصهيونية كحركة استعمارية كانت في وعي الإمبريالية العالمية قبل أن تكون في وعي يهود أوروبا أنفسهم، فاستعمار البلدان العربية الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية، وخاصة فلسطين، كانت مسألة مطروحة في استراتيجية الدول الإمبريالية منذ بداية القرن الثامن عشر، الذي شهد بداية تراجع الامبراطورية «الرجل المريض» في أوروبا.

وقد يكون من المفيد في هذا الصدد التذكير بنداء نابليون، خلال الحملة الفرنسية، إلى يهود العالم بإقامة ما أسماه دولتهم القديمة وتحت الحماية الفرنسية، وكذلك المشروع الذي قدمه اللورد شافستري عام 1938 إلى اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا آنذاك

بإنشاء كيان استيطاني لليهود في فلسطين تحت الحماية الأوروبية. وهذا ما يؤكد أن وعد بلفور (1917) لم يكن حدثا منفصلا في تاريخ المنطقة، بل جاء في سياق المخطط الأوروبي الإمبريالي لاستعمار فلسطين.

ولكي يبقى الحديث عن وعد بلفور حديثا راهنا، وليس مجرد استحضار واستذكار للتاريخ وتحسر على الماضي، سأعمد في مداخلتي إلى الانطلاق من هذا الوعد الذي أسس لحدوث النكبة الفلسطينية وقيام دولة إسرائيل، لأتوقف على عجل عند بعض المحطات الفاصلة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية مثل الثورة العربية الكبرى في فلسطين (1936-1939) والانتفاضة الأولى (1978)، وصولا إلى اتفاقيات أوسلو وتبعاتها، ومقاربة كل ذلك من زاوية موقف القيادة/القيادات الوطنية الفلسطينية من تلك الأحداث المفصلية وأسلوب تعاملها معها، وعواقب هذا السلوك على الحقوق الوطنية الفلسطينية، لجهة التمسك بهذه الحقوق أم التفريط بها، تعزيزها أم إضعافها ؟

باختصار، ستكون مقاربتي سياسية/حقوقية أسعى من خلالها إلى الإجابة على السؤال الإشكالي التالي: هل أدى موقف تلك القيادة/القيادات الوطنية وسلوكها إلى تكريس نتائج وعد بلفور أم العكس؟ وهل تعلمت الدروس والعبر من المحطات النضالية المضيئة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية؟

وعد بلفور

عندما أعلنت الحكومة البريطانية تصريح بلفور (1917) لم يكن لها على فلسطين سيادة أو سيطرة أو حق آخر يخولها أن تعترف بأي حق لصالح اليهود في تلك البلاد، فعصبة الأمم لم تكلف بريطانيا بالانتداب على فلسطين سوى في العام 1922.وهكذا عمدت بريطانيا إلى التزاوج بين اتفاقية سايكس بيكو (1916) ووعد بلفور.

وفي خطوة لاحقة عملت بريطانيا على دمج وعد بلفور في صك الانتداب البريطاني على فلسطين، ما يعتبر من وجهة نظر معظم القانونيين الدوليين إنكارا لأبسط قواعد العدالة. وقد نُصّ على نظام الانتداب في المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم بوصفه سبيلا لتطبيق مبدأ حق تقرير المصير. وأن تبني مبدأ وطن قومي يهودي قد تعارض مع مبدأ حق كل شعب في تقرير مصيره.

وفقا لنصوص صك الانتداب البريطاني على فلسطين التزم الانتداب بتحقيق هدفين رئيسيين هما:

(1) تنفيذ أحكام المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم التي تتعلق بالجماعات والشعوب (فلسطين وسوريا ولبنان والعراق) التي كانت خاضعة للحكم العثماني. وتنص هذه

المادة على أنه: «يمكن الاعتراف بصفة مؤقتة بكيانها كأمم مستقلة بشرط تقديم مشورة ومساعدة إدارية من قبل دولة الانتداب، وذلك إلى الوقت الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف على قدميها»؛

(2) وضع تصريح بلفور موضع التنفيذ بمعرفة الحكومة البريطانية على أن يكون مفهوما بصفة واضحة عدم الإخلال بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين. وقد تم إدماج هذين الهدفين وغيرهما في المادة الثانية من صك الانتداب.

والسؤال: فهل حققت دولة الانتداب هذين الهدفين؟ وهل نجحت في عدم الإخلال بحقوق وأوضاع السكان العرب في فلسطين؟

الجواب هو أن الدولة المنتدبة أخفقت إخفاقا تاما في تحقيق الهدف الأول والأساسي وهو تنفيذ أحكام المادة 22 من الميثاق عبر السير بالبلاد في طريق الاستقلال وتطوير مؤسسات الحكم الذاتي فيها، في الوقت الذي نجحت فيه نجاحا باهرا في تحقيق الهدف الثاني، ألا وهو تنفيذ وعد بلفور «بوضع البلاد في الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية التي من شأنها تحقيق إنشاء وطن قومي يهودي». وقد تحقق هذا الهدف بالإهدار الكامل لحقوق السكان الأصليين. كيف حصل ذلك؟

= أنشأت بريطانيا بموجب المادة (4) من صك الانتداب ما سمي الوكالة اليهودية بقصد «التشاور والتعاون مع إدارة فلسطين في الأمور الاقتصادية والاجتماعية وسواها من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي». لكن نفوذ الوكالة كان في واقع الحال أكبر من ذلك بكثير إذ باتت عمليا «حكومة داخل الحكومة».

= ومن جهة أخرى خضعت حكومة الانتداب للابتزاز والنفوذ الصهيوني الذي مارسته الوكالة اليهودية، ما أدى إلى فشل المحاولتين اللتين قامت بهما الحكومة البريطانية لإنشاء «حكم الذاتي في فلسطين» في العامين 1922 و1939.

= في المرة الأولى ألغت الحكومة البريطانية المادة 17 من مرسوم دستور فلسطين لعام 1922 التي كانت تنص على إنشاء مجلس تشريعي واستبدل بها نص تشريعي يعطي المندوب السامي البريطاني سلطات مطلقة في التشريع.

= وفي المرة الثانية وعدت الحكومة البريطانية في «الكتاب الأبيض» الصادر عام 1939 بتقنين الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنح فلسطين استقلالها بعد عشر سنوات. ومرة أخرى لم يتحقق هذا الوعد بسبب اعتراضات الصهاينة الذين كانوا يدبرون خططا أخرى بشأن مستقبل فلسطين.

= وبدلا من أن تفي بريطانيا بالتزاماتها باستقلال فلسطين وتطبيق حق تقرير المصير

للشعب الفلسطيني، عمدت من خلال الأمم المتحدة إلى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود (قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 1947/181).

= وعدا عن مخالفة مبدأ التقسيم لقواعد القانون ومبادئ العدل والديمقراطية، لا يمكن تسويغه على أساس عدد السكان أو على أساس ملكية اليهود للأرض. فحسب القرار المذكور تبلغ حصة الدولة اليهودية 57% من أراضي فلسطين مقابل 43% هي حصة الدولة العربية. أي أن اليهود الذين كانوا يشكلون أقل من ثلث السكان (عشرهم فقط من السكان الأصليين) وكانوا يملكون نحو 6% من الأرض، قد أقطعوا نحو ثلثي البلاد (ما يقارب عشرة أضعاف الأرض التي كانوا يمتلكونها واقعيا).

وفي الذكرى الخمسين لصدور وعد بلفور نستحضر ما قاله الصحفي البريطاني مايكل آدامز في صحيفة «الغارديان» (3/11/1967): «ليس لتصريح بلفور أي سند أو أساس في أحكام القانون الدولي (...) يوم وقّع بلفور كتابه إلى روتشيلد كان اليهود يشكلون بين 7 و 8 في المئة فقط من سكان فلسطين. وكان العرب يشكلون أكثر من 90 في المئة من السكان ويملكون 97.5 في المئة من أراضي فلسطين. وهؤلاء هم القوم التاعسو الحظ الذين قطعت الحكومة البريطانية على نفسها عهدا بأن تحمي «حقوقهم المدنية والدينية» بموجب نصوص تصريح بلفور (...) وأن أبناء هؤلاء وأحفادهم هم الذين يعيشون الآن لاجئين في المخيمات أو تحت احتلال إسرائيلي في الأشلاء المتنازع عليها من وطنهم».

الانتفاضة الأولى (1987)

تميزت الانتفاضة الأولى (1987) بمشاركة كل فئات الشعب الفلسطيني في أنشطتها وفعالياتها، واتسمت بقدر كبير من الوحدة والتنظيم والإبداع والابتكار فيما يتعلق بأساليب النضال وأشكاله، فقدمت تجربة فذة ومتميزة لنضال الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. وتمكنت من إعادة وضع القضية الفلسطينية على خارطة الاهتمامات الدولية، بعد تراجع الاهتمام بها، إثر خسارة منظمة التحرير الفلسطينية (م ت ف) لمركز ثقلها في بيروت عام 1982.

وقد بتنا نتساءل عند كل حدث فلسطيني ساخن ضد الاحتلال، هل تقوم انتفاضة جديدة؟ هل تقع الانتفاضة الثالثة، باعتبار أن انتفاضة العام 2000 هي الثانية؟ وهذا ما يقود البعض إلى التسرع والاستعجال في إطلاق تسمية «الانتفاضة»، على أي حراك شعبي/ شبابي واعد، مثل الحراك الشبابي (أواخر العام 2015) و«هبة القدس» الأخيرة (2017) المستمرة، وإن بشكل متقطع، وإضفاء رقم متسلسل عليه أو عليها.

كل هذا يؤكد المكانة المفصلية لهذه الانتفاضة التي استمرت لما يقارب الثلاث

سنوات أو يزيد، والتي لا يضاهيها في مغزاها النضالي أي حدث مفصلي آخر، سوى الثورة العربية الكبرى في فلسطين (1936-1939)، التي لاقت المصير المفجع ذاته الذي لاقته الانتفاضة الأولى، وإن في سياقات نضالية مختلفة باختلاف الظروف التاريخية، الذاتي منها والموضوعي، على حدّ سواء.

آنذاك، استجابت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية لنداء القادة العرب بوقف الثورة، اعتمادا على «حسن نوايا حليفتنا بريطانيا»، التي تعهدت بتلبية المطالب العربية. وفي حال الانتفاضة الأولى، كان التيار الرئيسي في م ت ف قد اتخذ قراره ومنذ الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني (1988)، باستثمار الانتفاضة سياسيا لتحقيق ما سمي بهدفي «الحرية والاستقلال»، اقتناعا منه بأنها قد حولت مركز ثقل النضال الفلسطيني من خارج فلسطين إلى داخلها، ووفرت قوة الدفع الذاتية لتطبيق البرنامج السياسي المرحلي (1974)، المتضمن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على أي جزء يتم تحريره من أرض فلسطين. وكانت النتيجة «كيان فلسطيني» مشوه، كما أثبت الوقائع الناجمة عن عملية سلام أوسلو.

وهذا ما يطرح السؤال الجوهري والإشكالي التالي: إذا لم تكن الظروف الذاتية والموضوعية للثورة الكبرى مواتية لأن تحفر مسارا يؤدي إلى تطبيق حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني آنذاك، أما كان بالإمكان أن تتخذ الانتفاضة الأولى - في ظل التجربة النضالية الغنية التي اكتسبها النضال الوطني الفلسطيني منذ ثلاثينيات القرن الماضي وحتى اندلاعها- مآلا أخر غير المآل المفجع الذي انتهت إليه، بسبب استعجال استثمارها في سياق اتفاقيات أوسلو، التي لا يزال الشعب الفلسطيني يجني حصادها المرّ، انقساما وتفككا لحركته الوطنية، وإضعافا لوزنها المعنوي والأخلاقي، وللمكانة المتميزة التي تبوأتها بين حركات التحرر الوطني العالمية في مرحلة صعودها في منتصف السبعينيات؟

ويكتسب السؤال هذا مشروعية وإلحاحية أكبر في أجواء الذكرى المئوية لوعد بلفور، ومع وصول عملية سلام أوسلو البائسة إلى طريق مسدود، بعد أكثر من عقدين من المفاوضات العبثية، ورفض إسرائيل القاطع للانسحاب من المناطق المحتلة عام 1967 وإمعانها في خلق الوقائع الاستيطانية على الأرض، التي تجعل من حل الدولتين أمرا مستحيلا، بل ضربا من الوهم والركض وراء السراب.

اتفاقيات أوسلو

بات واضحا بما لا يقبل الجدل أن عملية سلام أوسلو قد استنفذت أغراضها ووصلت إلى طريق مسدود بعد أكثر من عقدين من المفاوضات العبثية التي لم تؤد سوى إلى استشراء الاستيطان وابتلاع الأراضي الفلسطينية وتفشي النزعة الصهيونية العنصرية

وانتهاك حقوق لشعب الفلسطيني. وقد نجحت إسرائيل طوال الفترة السابقة في تحويل سلطة الحكم الذاتي الانتقالي «السلطة الوطنية» إلى وكيل من الباطن لإدارة الاحتلال نيابة عن الدولة المحتلة. وبهذا أصبح الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية أقل احتلال كلفة في التاريخ، إذ أعفيت الدولة المحتلة من كامل التزاماتها تجاه السكان المحتلين ووضعت هذه الأعباء على كاهل السلطة الوطنية بتمويل أوروبي أساسا.

ورغم كل تلك الوقائع العنيدة على الأرض تبدي السلطة الفلسطينية استعدادها لاستئناف المفاوضات مجددا بشروط إدارة ترامب والاحتلال الإسرائيلي هذه المرة، من دون اشتراط أي إطار قانوني مرجعي للمفاوضات يستند إلى مبادئ القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة. وهكذا تصبح المفاوضات مرجعية الحق، بدل أن يكون الحق مرجعية المفاوضات. وتسعى هذه المبادرة إلى فرض حل إقليمي للقضية الفلسطينية من خلال عقد صفقة مع النظام العربي الرسمي يطلق عليها إثم «صفقة القرن» يتم من خلالها فرض حلّ على العرب والفلسطينيين سقفه أدنى بكثير من سقف المبادرة العربية التي ولدت ميتة أو حتى سقف حلّ الدولتين المنشود.

الخلاصة والدروس المستفادة

تطرح ذكرى مئوية وعد بلفور وبإلحاح ضرورة مراجعة التجربة الفلسطينية، وخاصة منذ توقيع اتفاق أوسلو، من أجل صياغة استراتيجية كفاحية للحركة الوطنية الفلسطينية تنطلق من المحددات التاريخية للصراع ومن المتغيرات والوقائع السياسية التي طرأت منذ اتفاق أوسلو «إعلان المبادئ»، حتى لا يكون إعلان المبادئ تكريسا للواقع الذي خلقه إعلان/وعد بلفور. وفي هذا السياق ندعو إلى التوقف عند المسائل التالية:

= الأهمية التاريخية لتوفر رؤية استراتيجية واضحة للنضال الوطني الفلسطيني، وتأسيس علاقة جدلية سليمة بين التكتيكي والاستراتيجي في كل مراحل النضال وتحولاته، تأخذ بعين الاعتبار موازين القوى والتحالفات الدولية التي تحكم مسار الصراع. وبالتالي، عدم إساءة تطبيق مفهوم «مرْحَلة النضال»، وعدم تغليب المحدِدات السياسية للصراع على محدِداته التاريخية، ما يؤدي إلى تغييب الرواية الفلسطينية للصراع لصالح رواية العدو.

= التمسك بالمرجعية القانونية للصراع، انطلاقا من مبادئ العدالة التي تسمو في ميثاق الأمم المتحدة على مبادئ القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية، (المادة الأولى من الميثاق)، وبالتالي عدم التلاعب بالمرجعية القانونية للحقوق الفلسطينية، بحيث يظل

الحق مرجعية المفاوضات، أية مفاوضات، بدل أن تكون المفاوضات بذاتها مرجعية للحق- كما كان الحال في أوسلو.

= ضرورة أن تستوحي أي قيادة فلسطينية حالية أو مقبلة، وأن تستلهم في ممارساتها العملية الروح الكفاحية العالية لشعبها، التي عبرت عنها تجربته النضالية التاريخية الممتدة لما يزيد عن قرن من الزمان في مواجهة المشروع الصهيوني، وأن تتعلم من تلك التجربة، بما يعزز ثقتها في الطاقات الثورية الكامنة لهذ الشعب، وبما يحول دون الاستثمار السياسي، الضيق وقصير النفس لمحطات نضالية مضيئة في المسيرة الكفاحية للشعب الفلسطيني في اتجاه تاريخي معاكس للحقوق الوطنية الفلسطينية. وليست الانتفاضة الأولى سوى مثال على ذلك.



أوس يعقوب

التطبيع عن طريق الفن

دار جدل ساخن في لبنان وفلسطين في الشهرين الماضيين بعد دعوات إلى عدم عرض فيلم «القضية 23»، وهو للمخرج اللبناني زياد دويري، وشارك فيه الممثل الفلسطيني، كامل الباشا، الذي حاز على جائزة أفضل ممثل في مهرجان البندقية عن دوره في الفيلم. الاعتراض على عرض الفيلم راجع إلى أن مخرجه أقام حوالي عام في إسرائيل لتصوير فيلم آخر معتمد على رواية لياسمينة خضرا، الروائي الجزائري الذي يكتب بالفرنسية. وطولب دويري بالاعتذار عن قيامه بالزيارة غير أنه رفض ذلك. واتسع نطاق الجدل أيضا ليشمل محتوى الفيلم، فقد تعامل بانتقائية شديدة مع الحرب الأهلية اللبنانية ترسم صورة سلبية للفلسطينيين وأخرى إيجابية لبشير الجميل، ذي الدور المعروف في الفظائع التي ارتكبتها القوات الموالية له ضد فلسطينيي لبنان وبقية الفئات اللبنانية التي لم تكن مؤيدة له. لأهمية الموضوع، تعيد «عود الند» نشر المقالة أدناه التي سبق نشرها في مجلة «رمان» ويعاد نشرها هنا بموافقة مسبقة من الكاتب والمجلة. رابط المقالة في مجلة «رمان» في نهاية المقالة.



لماذا يُعتبر زياد دويري مطبّعاً؟

من الواضح أن الجدل الفلسطيني اللبناني العربي، بشأن المخرج اللبناني-الفرنسي زياد دويري (54 عاما)، وفيلمه الأخير «قضية رقم ٢٣» لن ينتهي قريبا، خصوصا بعد حادثة منع عرض فيلمه الروائي الرابع الذي كتبه مع جويل توما، في مهرجان «أيام سينمائية» في رام الله.

فلسطينيا، لم يكن ممكنا فصل إطلاق حملة منع عرض الفيلم عمّا احتوته أفلامه، خاصة فيلميه «الصدمة» و«قضية رقم 23»، في ما يخص القضية الفلسطينية من نقاش

على كل الصعد الوطنية والقومية. فصاحب «بيروت الغربية»، يعدّ أول فنان لبناني يشرّع الباب واسعا أمام هذا النوع من التطبيع الفني والثقافي مع العدو الإسرائيلي، فقد أمضى بين عامي 2010 و2011 أشهرا طويلة في «تل أبيب» لتصوير فيلم «الصدمة»، مستعينا بممثلين وتقنيين إسرائيليين و«منتج منفّذ» إسرائيلي لإنجاز فيلمه المستوحى من رواية الكاتب الجزائري-الفرانكوفوني ياسمينة خضرا.

وعند إنجازه (2012)، كان يُفترض أن يُعرض في لبنان ودول عربية أخرى. إلا أن الدولة اللبنانية امتنعت عن ترشيحه لجوائز «الأوسكار»، وسحبت رخصة العرض منه في لبنان وكافة الدول العربية، كما حذفه المهرجان القطري للأفلام من جدوله (علما أن «مؤسسة الدوحة للأفلام» شاركت بتمويله)، وقررت «لجنة المقاطعة» في الجامعة العربية منع الفيلم بتهمة «التطبيع الثقافي مع العدو الإسرائيلي». غير أن زياد حمل فيلمه إلى العديد من المهرجانات العالمية ونال تكريما واسعا، كان من ضمنه تكريم «مهرجان القدس السينمائي» الإسرائيلي!

«الصدمة»: تزوير لطبيعة الصراع

قبل الحديث عن فيلمه الأخير «قضية رقم ٢٣»، وجب الإشارة إلى أن دويري في فيلمه «الصدمة»، اجتهد بمواهبه الفنية العالية المستوى وبتقنيات فنية ساحرة ومؤثرة لأنسنة القاتل، وإظهار «العربي النظيف» الذي يقبل بإسرائيل، و«الفلسطيني الآدمي» المندمج بالمجتمع الإسرائيلي، والذي يحظى بتكريمه، مقابل الفلسطيني الذي يفجر الأطفال، فيختزل منطق الصراع بين خير وشر.

أمّا في «قضية رقم 23» فقد عمل دويري على تسخيف القضية الفلسطينية، وعزل الأحداث التاريخية الدامية عن سياقها (مجزرة الدامور)، مدعيا أن الفلسطينيين هم من ذبحوا «المسيحيين» الآمنين في الدامور! كيف لا والبطل الفعلي للفيلم هو بشير الجميّل، الذي لعب دورا قذرا في الحرب الأهلية اللبنانية، والذي كان يخطط لارتكاب مجزرة صبرا وشاتيلا، وهو الذي يراه معظم اللبنانيين والفلسطينيين مجرد «مجرم حرب صغير، وسليل عائلة سياسية اشتهرت بالعنصرية والتعصّب الديني والاجتماعي، وتسبّب حزبها بويلات على المسيحيين ثم على جميع اللبنانيين وعلى المنطقة أيضا».

ورقم (23) المضمن بعنوان الفيلم بالعربية -اختار له دويري عنوانا مغايرا باللغات الأجنبيّة هو «الإهانة»- ليس إلا دلالة على عدد الأيام التي تفصل بين انتخاب بشير الجميّل في ظلّ دبابات الاجتياح الصهيوني واغتياله.

وبالعودة إلى فيلم «الصدمة» ومنع عرضه رسميا في لبنان، صرح دويري لوسائل

الإعلام قائلا: «أنا عشت في تل أبيب سنة. تنقلت فيها وتكلمت مع الناس، واكتشفت أن تصرفهم الشاذ والعنف لا يأتيان بفعل الكراهية أو العنصرية فحسب بل أيضا بداعي الخوف»، مبررا بذلك إجرام وإرهاب الصهاينة.

كان دويري قد أعلن في برنامج «ستوديو بيروت» الذي بثته فضائية «العربية» في أيّار (مايو) 2013 أنه أبلغ مخابرات الجيش اللبناني بذهابه إلى فلسطين المحتلة، كما أن جهاز الأمن العام اللبناني لم يجد في الفيلم عندما حضره ما يسيء إلى القضية الفلسطينية.

وكان ناشطون وصحافيون في لبنان قد طالبوا دويري في أكثر من مناسبة بـ«الاعتذار» عن تصويره في إسرائيل فيلم «الصدمة» الذي منع عرضه في لبنان، معتبرين أن ذلك يصب في خانة التطبيع مع العدو الصهيوني، غير أنه لم يفعل، لا بل استمر في دفاعه المستميت عن ارتمائه في حضن الدولة العبرية.

يقول زياد الدويري في حوار صحفي لصحيفة «لوس أنجلس تايمز» الأمريكية: «بالنسبة إلى الكثير من العرب، يبدو إظهار الطرف الآخر غير مقبول، فهم ينتظرون فيلما يصوّر إسرائيل كقوة شيطانية للغاية. وهذا ما لم أفعله في الفيلم”.

كل هذا كان دافعا رئيسيا لمعظم الفلسطينيين في الجغرافية الفلسطينية الممزقة في الداخل المحتل (1948) والضفة الغربية وقطاع غزة وفي الشتات، وراء حملة منع عرض أفلام زياد دويري في فلسطين المحتلة، باعتبارها مسيئة، في الخطاب والرؤيا، للقضية الفلسطينية.

والتطبيع من منظور وطني فلسطيني في بلد تحت الاحتلال، وبعيدا عن لغة التخوين، هو القبول والاعتراف بالسرديات الصهيونية عن الفلسطينيين أرضا وشعبا. الرواية السياسية أو الثقافية أو الأخلاقية عنا وعن طبيعة وأسباب الصراع معنا، وما ينتج عن هذا الاعتراف من سلوك يؤدي أو حتى يوحي بعلاقة «طبيعية» بيننا وبين عدونا، دون النظر إلى المنافع الشخصية أيا كانت.

وقد لخصت حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) موقفها في بيان أصدرته السبت الماضي، بالتأكيد أنه «بينما لا تعتبر الحملة أن فيلم المخرج زياد دويري الجديد «قضية رقم 23»، خاضع للمقاطعة وفقا للمعايير الحالية لحركة المقاطعة، فإنها تدين دون تحفظ التطبيع الصارخ في إنتاج فيلم دويري السابق «الصدمة» (2013)»، كما استهجنت الحركة استمرار دفاعه عن هذا التطبيع.

وكانت مجموعات شبابية في الضفة الغربية، أطلقت على نفسها اسم «شباب ضد التطبيع» قد أنشأت في الأيام القليلة الماضية، صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي بعنوان

«التصدي لعرض فيلم المخرج المطبّع زياد دويري»، مروجة لوسم (#لن_يعرض)، وطالبت الجهات الشريكة لـ«فيلم لاب» المنظمة للمهرجان بإتخاذ موقف لمنع عرض الفيلم.

تطبيع ناعم يؤنسن العدو

محاولات زياد دويري غسل يديه من التطبيع مع العدو، جاء للأسف الشديد على قاعدة اختيار استراتيجيّة دفاع عدائيّة، بأطروحات انعزالية، متهما منتقديه بـ«التخلّف والفاشيّة»، ونعتهم بـ«أعداء الفكر والثقافة» و«راجمي الحريّة» و«طواغيت الظلام» وغير ذلك من الاتهامات الرخيصة.

وفي الكثير من مقابلاته التلفزيونية وتسجيلات الفيديو الخاصة به، والمنشورة على صفحته الرسمية «زياد دويري» في موقع (الفيسبوك)، يصر المخرج اللبناني على صوابيّة خياراته والتمسّك بها، وعدم نكرانها أو الاعتذار عنها، معتبرا تارة أنه سينمائي و«لا علاقة له بالسياسة»، هو الذي يقود تطبيعا ناعما عمد إلى أنسنة العدو، وطورا أن «من واجب الفنان أن يكسر المحظورات ويتجاوز الحدود ويكتشف الآخر».

المضحك المبكي في جولة دويري الأخيرة، هو رمي الكرة مؤخرا، بعد حادثة المنع في رام الله، في ملعب الفلسطينيين وتبرير ذلك بالعمل على الدفاع عن بطل فيلمه الفلسطيني الممثل كامل الباشا، الذي فاز بجائزة أحسن ممثل عن دوره في «قضية رقم 23» في مهرجان البندقية السينمائي، والقول إن ما اعتبره هجوما عليه إنما هو هجوم على «ممثل وطني سجن في سجون الاحتلال لعامين»، وكأن في هذا ما يبرئ ساحته وساحة الفنان المقدسي كامل الباشا، الذي أكد بدوره أن ما يجري هو «تصفية حساب مع زياد".



ويثقل علينا دويري بدفاعه عن مواقفه تلك بإصرار وغطرسة وازدراء للقيم والمبادئ الوطنية، مبديا احتقارا للرأي العام اللبناني والفلسطيني خاصة، والعربي عامة. وهو يردّد اللازمة التي نسمعها بين الحين والآخر، من أنّه «ترعرع في بيت وطني ومناضل من أجل فلسطين»، وأنه «رضع حب فلسطين في بيته» من والدته المحامية التي ساندته في مواقفه المعلنة، موثّقين ذلك بالصوت والصورة، كما بدا لنا في التصريح المتلفز لوسائل الإعلام اللبنانية، بعد اخلاء سبيله إثر توقيفه من قبل الأمن العام اللبناني وهو عائد من مهرجان البندقية، معتبرا أن كل ما يواجهه هو أعمال مفبركة من أناس حقودين وغيورين من نجاحاته، هو الذي يحقق، «فخر الصناعة اللبنانية» على

المستوى العالمي، طبعا وفق تعبيره، مؤكدا أن موقفه من القضية الفلسطينية مشرف وأن هناك من عائلته من قدم روحه فداء لفلسطين وغير ذلك من المزايدات التي ساقها دويري.

رغم كل ما تقدّم وما شاهدناه من تصريحات لدويري، فإن أسئلة عديدة تبقى بلا أجوبة، لعل أهمها الآن هو سؤال: ألا يرتكب البعض منا ممن يدافع اليوم عن زياد دويري ومنجزه البصري، جرما لجهة تشجيع التطبيع والتعامل مع العدو الإسرائيلي، وتزوير الرواية الفلسطينية اللبنانية لصالح الرواية الإسرائيلية؟ ومن ثم، وبعيدا عن سياسات المنع والإقصاء، كيف هو السبيل للتصدي ثقافيا وبشكل حضاري لزياد دويري وأمثاله من المطبعين؟

= =

رابط المقالة في مجلة «رمان»، 27 تشرين الأول (أكتوبر) 2017.

https://www.rommanmag.com/view/posts/postDetails?id=4588





جهان حلو

ماجد أبو شرار: 36 عاما على الغياب

النص أدناه كلمة ألقتها الكاتبة في لقاء شبابي نظمته مؤسسة ماجد أبو شرار الإعلامية في مركز معروف سعد الثقافي في مدينة صيدا اللبنانية يوم الأحد، 15 تشرين الأول (أكتوبر) 2017.



نلتقي اليوم لنحيي ذكرى مناضل كبير ترك بصماته المميزة في مسيرة الحركة الوطنية المعاصرة. نلتقي وقلوبنا حزينة على الواقع المأساوي الذي وصلت إليه القضية الفلسطينية وعلى المعاناة الهائلة لشعبنا داخل الوطن المحتل وفي الشتات. هل هذا قدرنا؟ أين التراكمات الثورية المواكبة للتضحيات الهائلة التي قدمت في مسيرة الحرية؟

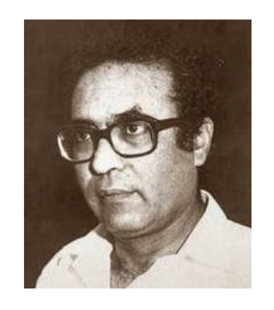
في الليلة الظلماء يفتقد البدر. كم من نجم سطع في سماء نضالنا الطويل مضيئا طريقنا بقيم الثورة وقيم التنوير والثقافة مترجمة بممارسة عملية تعكس إنسانية عميقة واستعدادا لا متناهيا للتضحية! ماجد أبو شرار (أبو سلام) كان على رأس هؤلاء المناضلين، مثقف ثوري بكل معنى الكلمة. تم اغتياله من قبل الإرهاب الصهيوني عندما ازداد نجمه إشراقا وتأثيرا في مسار الثورة الفلسطينية وفي وعي الكوادر والمقاتلين.

من البديهي أن العدو الصهيوني يرتعب من الفكر المقاوم كرعبه من السلاح المقاوم وأكثر، لتأثير هذا الفكر في التطور الثوري. وقد عمل بشكل حثيث على اغتيال وتغييب حاملي الفكر والإبداع بوسائل شتى إن كان بشكل مباشر أو من خلال أعوانه من الدكتاتوريات والرجعيات العربية. والأسماء كثيرة.

ماجد، أبو عمر (حنا ميخائيل)، غسان كنفاني، ناجي العلي، وائل زعيتر، كمال ناصر واللائحة تطول. وكذلك محاولة اغتيال الدكتور أنيس الصايغ وبسام أبو شريف. لم يستثن

العدو ممثلي المقاومة في الخارج في محاولة لمنع وصول صوتها إلى العالم واغتال العديد من المناضلين مثل محمود الهمشري وعز الدين القلق ونعيم خضر وسعيد حمامي. ولا عجب أن يحاول اليوم إسكات مناصري القضية الفلسطينية بتهمة معاداة السامية.

العدو هو العدو. يستعمل كل وسائله الإرهابية لإنهاء المقاومة الفلسطينية ومتابعة التطهير العرقي وتهويد فلسطين لترسيخ وجوده العنصري الاستعماري على أرضها. ومن المحزن أن نرى أن سيرة هذه الكوكبة من المثقفين الثوريين غائبة أو شبه غائبة عن المشهد الفلسطيني الرسمي وعن الرواية المتداولة لتاريخ الثورة المعاصرة، وإن انتشرت، فذلك بفضل الرفاق والأصدقاء والعائلة. وهذا يضعنا أمام تحديات كبيرة لكنها غير مستحيلة. علينا إحياء ذكرى هؤلاء المناضلين ونشر القيم الثورية التي استشهدوا دفاعا عنها فهذا جزء من معرفة تاريخنا. فمن لا يعرف تاريخه لا يمكنه أن يفهم حاضره ولا يمكنه أن يبني مستقبلا مشرقا لشعبه.



ماجد أبو شرار وأبو عمر وغيرهما آمنا بان الثورة علم، وشروط نجاحها تعتمد على الاستراتيجية الواضحة والبرامج القائمة على فهم الواقع وعلى استعمال الأدوات المناسبة لإحداث التحولات الثورية. هل كانت هذه الرؤى متناقضة لما وصلنا إليه اليوم خاصة مع اتفاقية أوسلو الكارثية؟

سنوات طويلة مضت على استشهاد القائد العظيم ماجد أبو شرار ولم يخف حزننا أو إحساسنا بالخسارة الفادحة في ظل غياب مفجع لقيادة أمينة جديرة بقيادة نضالنا والدفاع عن شعبنا في مواجهة التصعيد الصهيوني المحموم.

ميزت المناضل أبو سلام صفات عدة أهمها الثقافة الواسعة والفكر التنويري التقدمي وخطاب ثوري علمي بعيدا عن الفذلكة والأستذة. كما امتاز بتواضع شديد ودفء إنساني أكسبه شعبية واسعة واحترام ومحبة كل من عرفه.

وقد عمل على رفض الفوضى والشللية داخل الحركة وكل مظاهر الترهل والفساد والإفساد. وترافق ذلك مع حماس والتزام كبيرين على نشر الثقافة والوعي الثوري على كافة المستويات كشرط ضروري لبناء التنظيم الثوري وتطوير الجبهة الوطنية المتحدة.

آمن أبو سلام أن الثورة الفلسطينية طليعة حركة التحرر العربية وجزء عضوي من حركة التحرر العالمية. ورفض توجه القيادة لإعطاء الأولية للعلاقة مع الأنظمة العربية على حساب العلاقة مع الشعوب والقوى التقدمية، وعمل جاهدا على تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية، وكان من القلة من أعضاء المجلس الثوري لفتح التي عارضت (مبادرة فهد

للسلام) السيئة الصيت التي تبنتها حركة فتح آنذاك.

انحاز ماجد لقضايا المسحوقين والمظلومين ونرى ذلك في مجموعته القصصية «الخبز المر». وأعطى أهمية خاصة لقضية المرأة. أوجعه التمييز والظلم الممارس عليها. آمن بأهمية النضال لتحقيق المساواة الكاملة للمرأة في المجتمع وفي صفوف الحركة. وعمل على نشر التوعية في هذا الموضوع بين الكوادر والمقاتلين. وفتح الباب واسعا لمشاركة المرأة في الإعلام الموحد وفي قسم السينما. لم يفصل بين الفكر والتطبيق ومارس قناعاته هذه بكل صدق في حياته الشخصية.

قلق ماجد كثيرا حين اختفى أبو عمر ورفاقه وتابع عن كثب الأخبار والتطورات والملابسات. أخبرني قبل انعقاد المؤتمر الرابع، حيث تم انتخابه عضو في اللجنة المركزية، أنه اتفق مع الأخ أبو عمار أن يتم تكريم أبو عمر وإعلانه عضوا رمزيا في المجلس الثوري للحركة. كانت كوادر الحركة مستاءة من التعتيم على الموضوع وعدم الإعلان عن الحقيقة رغم أهمية أبو عمر والمناضل الكبير نعيم الوشاحي، عضو المجلس الثوري وقائد نسور العرقوب ورفاقهما. مع الأسف، عتمت القيادة على الموضوع ولم تعلن شيئا حينها وحتى يومنا هذا.

خمس سنوات ما بين اختفاء/اختطاف أبو عمر واستشهاد ماجد. أصبحت الدلالات آنذاك واضحة كليا. فالهدف تغييب القيادات والكوادر الواعدة التي تمثل وتعزز الفكر المقاوم والمؤهلة لتطوير المسيرة الثورية وصولا للنصر.

في هذا الليل الحالك نفتقدك أكثر أيها المناضل الصلب والإنسان الكبير. ولكننا نطمئنك بأن شعبنا العظيم مستمر في نضاله على طريق الكرامة والحرية.



للباحثات والباحثين

من الأرشيف: نشرة «المتراس»

صدرت نشرة «المتراس» اثناء الحصار الإسرائيلي لبيروت في صيف عام 1989. الصورة أدناه لغلاف العدد التاسع، وتاريخه 15-1982/7/18. عنوان افتتاحية العدد: «القابضون على الجمر». وفيما يلي نصها:

في الوقت الذي يصمد فيه الوقف السادس لإطلاق النار، ولليوم الثالث على التوالي، يدور الحديث حول عودة الأزمة إلى نقطة «الانطلاق» أو حتى ما دون نقطة الانطلاق.

يعبر هذه الوضع عن نفسه بتصعيد العمليات العسكرية خلف خطوط العدو، وبمزيد من رص الصف الوطني، والثقة بالنفس والإعداد لـ«أسوأ الاحتمالات» التي يحري الحديث عنها، بهدف التهويل والابتزاز وزعزعة ثقتنا بجبهتنا المقاتلة الصامدة. وفي المقابل، تشهد جبهة العدو المزيد من الانقسامات واللغط حول الحرب وأهدافها السياسية وجدواها النهائية، ليس فقط في الأوساط الرسمية، وإنما في الأوساط الشعبية، وفي أوساط جنوده وضباطه على جبهة القتال. ولنستمع إلى شارون يخاطب جنوده وضباطه في أحد المواقع العسكرية المتقدمة على جبهة القتال في بيروت: «علينان أن نلتزم بالصبر والنفس الطويل، إذ أنهما يعتبران أسلحة مهمة مثل السلاح العسكري».

وبعودة الوضع إلى نقطة الانطلاق هذه، مع ما يرافقها من هدوء نسبي على جبهات القتال، تهب رياح الخليج حارة لافحة، لتقذف بعوامل جديدة إلى ساحة الصراع، وينفجر الوضع في القرن الأفريقي، منذرا بأن نيران الحرب في لبنان يمكن أن تمتد لتطال أصابع الأطراف الدولية ذاتها، المعنية بالأزمة اللبنانية.

ومن الطبيعي أن يدور الحديث في الصف الوطني اللبناني/الفلسطيني حول مدى تأثير هذه العوامل المستجدة على مجرى الصراع في لبنان، سلبا كان أم إيجابا، أي هل ستنقل هذه العوامل الجديدة بؤرة الاهتمام الدولي إلى الخليج والقرن الأفريقي بشكل يوفر للعدو الصهيوني شروطا أفضل للاستمرار في حربه العدوانية؟! أم أنها ستؤدي إلى لجم

اندفاع الإمبريالية الأمريكية في تبنيها الكامل لأهداف العدوان، ووضع العراقيل أمامه؟ هذا ما ستكشف عنه الأيام القادمة.

فلتعد الأزمة إذن، المرة تلو المرة، إلى «نقطة الانطلاق»، لأن نقاط الانطلاق هذه، بالنسبة لنا، «نقاط الصمود» التي تشكل في مجموعها خط الصمود الوطني اللبناني/ الفلسطيني المعمّد بالدم والتضحيات. ويبقى من المهم والأساسي في مثل هذا الظرف الدقيق أن نحمي ونصون خط الصمود الوطني هذا، فالعدو الصهيوني كمن يقبض على الجمر، وبيروت الوطنية تحرق أصابعه، فتحت رماد حرائقها يتقد الجمر.



المتراس

أرشيف مجلة عود الند

تصدر عن الاعلام الجماهيري الموحد ـ منطقة بيروت الرئيسية ـ العدد (٩) ١٥ـ١٨/ ٧/ ١٩٨٢

القابضون على الجمر..!

في الوقت الذي يصمد فيه الوقف السادس لاطلاق النار وللمرة الثالثة على التوالي، يدور الحديث حول عودة الازمة الى نقطة "الانطلاق" او حتى الى ما دون نقطة "الصفر" على الصمود الوطني اللبناني ...

ملف: شـــؤون فلسطينية 2017



قضية فلسطين: كيف الخروج من الطريق المسدود؟

النص أدناه مقتطف من كتاب «بيروت 1982: اليوم ي»، وفيه نقاش لسبل الخروج من الطريق المسدود الذي دخله النضال الفلسطيني بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية (م ت ف) ومنظماتها ومكاتبها من بيروت عام 1982، وزاد سوءا بعد اتفاقية أوسلو عام 1993. يجب التذكير بأن م ت ف كانت ائتلافا من مجموعة فصائل، ولذا فإن الحديث عن م ت ف ككتلة يعني ضمنا الحديث عن فصائلها.



بالخروج من بيروت انتهى أيضا دور منظمة التحرير الفلسطينية (م ت ف)، وأي دعوات إلى تفعليها تدل في رأيي على عدم استيعاب المرحلة التي تُوجت بالخروج من بيروت. لقد ناضل الشعب الفلسطيني وضحى كثيرا من أجل أن تحصل م ت ف على صفة الممثل الشرعي والوحيد. ولكن التطبيقات العملية لهذه الصفة ظلت مشوبة بالتعقيدات، فالحصول على هذه الصفة كان في واد، والتمثيل الحقيقي ظلّ في واد آخر، فعلى سبيل المثال، كيف يكون تمثيل الفلسطينيين الذين يحملون جنسيات دول أخرى.

طبعا الغاية من الحصول على صفة الممثل الشرعي الوحيد كانت سحب المتاجرة بالقضية من أيدي الأنظمة العربية، وسحبها أيضا من أيدي شخصيات فلسطينية مستعدة للتعاون مع إسرائيل في التوصل إلى حل يكون وفق التصورات الإسرائيلية، التي أنشأت ما سمي «روابط القرى» وكانت تسعى إلى التعاون مع رؤساء بلديات من أجل التوصل إلى حلول سقفها كان دائما حكما ذاتيا في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومن المؤكد أيضا أن أمل قيادة م ت ف كان تحول اعتبارها ممثلا شرعيا وحيدا إلى

اعتراف دولي يجعلها طرفا في الجهود الهادفة إلى التوصل إلى حل للقضية الفلسطينية. وقد نالت م ت ف اعترافا من العديد من الدول، وتم فتح سفارات، وحصلت م ت ف على صفة مراقب في الأمم المتحدة. ولكن هذا الاعتراف لم يتوج بتحول م ت ف إلى طرف مقبول في محاولات التوصل إلى تسوية بسبب عدم الاعتراف الإسرائيلي والأميركي بالمنظمة.

شعار م ت فكان من نتائج اعتبار م ت ف ممثلا شرعيا وحيدا اختزال هذه الصفة وهذا الحق في شخص رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة، وخاصة بعد انفجار الخلاف داخل حركة فتح في عام 1983. من الأمثلة على ذلك، ما ورد في تعميم أصدرته الهيئة التنفيذية لعموم فروع الاتحاد العام لطلبة فلسطين يحمل تاريخ 1983/8/24 عن جولة لوفد من الهيئة في بعض الدول الأفريقية. وقد جاء في التعميم:

> «وأكدت المنظمات الأفريقية خلال المباحثات دعمها وتأييدها الكاملين لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد بقيادة الأخ أبو عمار وأدانت التدخلات الخارجية في الشؤون الداخلية للمنظمة وعبرت عن وقوفها لاستقلالية القرار الوطني الفلسطيني».

إن تمثيل هيئة لشعب ما لا يرتبط بشخص رئيس الهيئة، وإذا حصل ذلك تتقلص الصفة التمثيلية كثيرا إذا لم تصبح لاغية عمليا. وفي نهاية المطاف، اختفى الاختلاف بين أن تكون م ت ف ورئيس لجنتها التنفيذية، عرفات، الممثل الشرعي الوحيد.

توجه أحيانا انتقادات إلى مسألة استقلال القرار الفلسطيني، وبعضه مشروع بالتأكيد، وخاصة عندما ينظر للأمر من ناحية الممارسات العملية التي تختزل م ت ف في شخص رئيس لجنتها التنفيذية، الذي كان أسلوبه القيادي عرضة للانتقادات حتى في أحسن الأوقات التي مرت فيها المنظمة. أما عندما تذهب الانتقادات إلى أبعد من ذلك، واعتبار مسألة استقلال القرار برمتها خطأ، فإن الانتقادات تتجاوز حدود المعقول، فالمؤكد أن القضية الفلسطينية تضررت بسبب تعدد الجهات التي فرضت وصايتها على الشعب الفلسطيني. والحقائق في هذا الشأن واضحة منذ كانت فلسطين خاضعة للاستعمار البريطاني.

ومثلما لم يكن المقصود من حصول م ت ف على صفة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني أن يختزل ذلك في شخص رئيس لجنتها التنفيذية في ذلك الحين، لم يكن المقصود من استقلال القرار الفلسطيني وضعه في تصرف شخص واحد أيضا ليفعل به ما يريد باسم الاستقلالية.

ولكن مناقشة هذه التفاصيل يجب ألا تنسينا المسألة الأكبر التي أناقشها هنا، وهي انتهاء دور م ت ف بعد خروج المقاتلين والقيادة من بيروت، فالقرار فيها اختزل في شخص

واحد، وبعد التوصل إلى اتفاق أوسلو أنشئت السلطة الفلسطينية التي تدير حكما ذاتيا محدودا. وأصبحت م ت ف كيانا أجوف. والدعوات إلى تفعيل دور م ت ف ستؤدي في حال نجاحها المشكوك فيه كثيرا إلى إعادة إنتاج التجربة التي فشلت في الماضي.

هناك أسئلة عملية سوف تطرح نفسها من قبيل قوات جيش التحرير الفلسطيني. ليس لدي إجابات عن الأسئلة المشروعة، والنقاش حولها مسؤولية جماعية. ولكن بناء على التحليل المنطقي لما آلت إليه تجربة م ت ف ووضعها الحالي، من غير المعقول العودة إلى صيغ وهياكل من الماضي، وخاصة أنها لم تكن ناجحة إلا جزئيا ولفترة محدودة.

الشعب الفلسطيني بحاجة هذه الأيام إلى صيغة جديدة تمكنه من مواصلة النضال. قد تكون صيغة النضال ضد نظام التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا مناسبة، فالمؤتمر الوطني الأفريقي كان تجمعا لقوى مختلفة، وكان للمؤتمر جناح عسكري، واعتمد النضال أيضا على مقاطعة نظام التفرقة العنصرية، حيث أفلحت حركة سحب الاستثمارات من جنوب أفريقيا في حمل النظام العنصري على التفاوض مع القائد السجين، نيلسون مانديلا، على نظام جديد قائم على المساواة.

تجربة النضال ضد نظام التفرقة العنصرية وغيرها من تجارب سيكون فيها دروس مفيدة للنضال الفلسطيني، ولكن استنساخ التجارب خطوة غير حكيمة، ومن الممكن أن يحصل تطبيق مشوه لتجربة ما، فالاكتفاء بالمقاطعة على سبيل المثال لن يكفي. والاكتفاء بالكفاح المسلح لن يكفي، وهو كما مورس في الماضي لم يكن السبيل الحتمي الوحيد لتحرير فلسطين كما قال الشعار.

والمقاطعة إذا نجحت ذات يوم كما نجحت في جنوب أفريقيا، ستظل هياكل التحكم بالاقتصاد والمال على حالها، وسيظل الفلسطينيون مواطنين يتمتعون بحقوق متساوية ظاهريا، ولكن الفقر سيظل منتشرا، وسيكون هناك تفاوت كبير بينهم وبين من كانوا مسيطرين عليهم.

هل سينتصر الشعب الفلسطيني في نضاله ذات يوم، ويتحرر من الاحتلال، ويعود اللاجئون إلى مدنهم وقراهم؟

كان الحديث عن تحرير فلسطين يتم على أساس أن هذا حتمية تاريخية. ولكن حذار من التعويل على الحتميات التاريخية. لا شيء حتميا في التاريخ. وهناك أناس يؤمنون بأن النصر سوف يتحقق ولو بعد زمن طويل، ودليلهم على ذلك من التاريخ، ممثلا بتحرير القدس من الصليبيين بعد نحو مئة سنة. رغم أن هذا المثال من التاريخ مهم، ولكن ما حدث يوما في التاريخ قد لا يتكرر، فكل عصر له ظروفه.

في ظاهر الأمور، تبدو احتمالات انتصار الأمر الواقع انتصارا نهائيا قوية جدا، فهناك

سلطة فلسطينية حريصة على علاقة ودية مع الاحتلال الإسرائيلي؛ وقطاع غزة محاصر منذ سنوات؛ والأوضاع العربية تدهورت كثيرا بعدما بشرت التطورات في نهاية عام 2010 وبداية 2011 بأن الدول العربية مقبلة على تغيير يحرر الجماهير المقموعة. ولكن قوى الثورة المضادة تحركت وأجهضت ما جرى، وسعت إلى تغيير أنظمة أخرى. ولم تعد تحاول إخفاء استعدادها للتعاون مع إسرائيل.

بعبارة أخرى، الخروج من الأوضاع الراهنة مليء بالصعوبات، ولكن هذه ليست دعوة للاستسلام للأمر الواقع، فتواريخ الشعوب مليئة بالأمثلة على النهوض رغم صعوبة الظروف، والنهوض مرتبط دائما بقوى طليعية تقتنع أغلبية الشعب بأنها تعمل من أجل تحقيق أهدافه في التحرر من الاحتلال والهيمنة.

في العدد 104 من مجلة «شؤون فلسطينية» (تموز 1980)، يروي ممثل م ت ف في لبنان، شفيق الحوت، تفاصيل نقاش حدث في ندوة عقدت له في جامعة هارفارد الأميركية في نيسان 1979. ويشير إلى نقطة مهمة أثارها في الندوة أستاذ بولوني (بولندي) لم يُذكر اسمه في مقالة الحوت. ومن الواضح أن الحوت أدرك أهمية النقطة التي أثارها الأستاذ، بدليل الإشارة إليها في بداية المقالة. وهي نقطة تجعل التفاؤل بانتصار الشعب الفلسطيني قائما على أسس واقعية. قال الأستاذ البولندي:

«أنا واثق بأن شعب فلسطين، مثل أي شعب آخر في هذا الكوكب، يعشق حريته وحقه في سيادة نفسه. وبالتالي فهو ضد الاحتلال الإسرائيلي ولا يمكن أن يستسلم له مهما تعرض لأنواع القمع الجماعي والإرهاب المنظم الذي تقوم به إسرائيل. فمهما فعلت إسرائيل، فإنها لن تتفوق على من سبقها من قوى النازية والعنصرية وكل الأيديولوجيات الاستعمارية. وفي النهاية، لا بد للشعب الفلسطيني من أن ينتصر وأن ينتزع حقوقه الوطنية والإنسانية. ومن هذا الفهم أريد أن أطرح سؤالا محددا يتعلق بما يعرف بـ«النضال الجماهيري» [...] مع كل التقدير لظروفكم النضالية، فإني أشعر أحيانا بأن منظمة التحرير الفلسطينية لم تعط هذا البعد النضالي ما يستحقه من عناية واهتمام. وهو في رأيي بُعد لا يقل أهمية عن النضال المسلح والنضال السياسي وكل أنواع النضالات الأخرى. أكثر من ذلك، أنا من المؤمنين بأن النضال الجماهيري[1] هو أب هذه النضالات جميعها» (ص 4-5).

هذا تفاؤل واقعي غير معتمد على حتميات تاريخية، ولا على نبوءات دينية، وإنما على نضال جماعي. وهو أيضا مناقض لمنطق الاستسلام والقبول بالأمر الواقع. ولكن لا تزال هناك حاجة ماسة إلى حوارات حول أفضل السبل للخروج من الواقع المحبط الراهن. وللأسف أدت وسائل الإعلام الاجتماعي إلى زيادة النزعة الفردية، واعتقاد أن للحملات على صفحات الإعلام الاجتماعي مفعولا سحريا، مثل تغيير الأنظمة. ورغم أهمية الإعلام

الاجتماعي كمنبر بديل لإيصال معلومات لا تنقلها وسائل الإعلام التقليدية، إلا أنه ليس البديل للعمل الجماعي المنظم، وبدون هذا لا يحدث تغيير على أرض الواقع.

ومثلما نجحت منظمات المقاومة الفلسطينية بعد حرب 1967 في تحدي الأمر الواقع، وتحقيق حالة من الالتفاف الجماهيري المبهر حول المقاومة، سيمكن لهيكل أو هياكل جديدة تحقيق نجاح مماثل، ولكن من المؤكد أن كسب ثقة الجماهير سوف يحتاج إلى جهود كبيرة وأسلوب مختلف في التعامل معها. ورغم صعوبة الظروف وكثرة التحديات، إلا أن الشعب الفلسطيني تواق إلى الخروج من الحالة المتردية التي يعيشها، ويتطلع إلى نشوء حالية نضالية قادرة على إدارة الصراع بكفاءة، وتتمكن من تحقيق الأهداف التي لم يكف الشعب الفلسطيني منذ مئة عام على النضال وتقديم التضحيات من أجل تحقيقها.

= = =

[1] النضال الجماهيري لا يعني زرع الأشجار المثمرة كما تقول أغنية فلسطينية من عصر اتفاقية أوسلو. الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في أواخر عام 1987 مثال جيد على النضال الجماهيري، فهي استمرت ثلاث سنوات، وكانت تشهد إضرابات ومواجهات بالحجارة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي.



للتواصل مع «عـود الـنـد»

أفضل وسيلة للتواصل مع «عود الند» فعل ذلك من خلال موقع المجلة.

www.oudnad.net

يمكنك التواصل مع المجلة بزيارة صفحاتها في مواقع التواصل الاجتماعي:

فيسبوك: oudalnad :: :: :: تويتر: oudalnad

إصدارات عـود الـنـد

الإصدارات الورقية: بالعربية

الهواري، عدلي. 2017. بيروت 1982: اليوم «ي». يتضمن الكتاب وثائق ذات علاقة بالجهود السياسية والدبلوماسية للتوصل إلى اتفاق على خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت.

الهواري، عدلي. 2016. كلمات عـود الـنـد. افتتاحيات مختارة، السنوات 8-10.

الهواري، عدلي. 2016. غسان يبتسم. افتتاحيات مختارة، السنوات السبع الأولى.

الهواري، عدلي. 2015. اتحاد الطلبة المغدور. كتاب يوثق تأسيس وانهيار الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الولايات المتحدة.

الإصدارات الورقية: بالإنجليزية

Hawwari, A. 2016. *Democracy and Islam/ism.*

Hawwari, A. 2016. *Jordan: A Democratic Audit, 1990-2010.*

مواعيد صدور الأعداد القادمة

نرحب بتلقي مساهمات عالية الجودة. يجب أن تكون المادة غير منشورة من قبل في أي مكان، ويجب أن تكون مرسلة للنشر الحصري في «عود الند».

=1= ربيع 2018: مطلع آذار (مارس) 2018.

=2= صيف 2017: مطلع حزيران (يونيو) 2018.

=3= خريف 2018: مطلع أيلول (سبتمبر) 2018.

=4= شتاء 2019: مطلع كانون الأول (ديسمبر) 2018.

راجع/ي مادتك أكثر من مرة قبل إرسالها للتأكد من سلامة اللغة، ومراعاة أحكام الطباعة، واستخدام علامات التنقيط (الترقيم) استخداما صحيحا، وتوثيق المراجع توثيقا منهجيا كاملا.

ارسل/ي مادتك باستخدام النموذج الخاص بذلك في موقع المجلة.

«عـود الـنـد» في سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متالية.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له سبعة كتب، خمسة بالعربية:
  - **الحقيقة وأخواتها؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ بسام يبتسم؛ كلمات عـود الـنـد؛** واثنان بالانجليزية عن مدى توافق الديمقراطية والإسلام وما يسمى الإسلام السياسي.

www.oudnad.net